من قتل أشرف مروان؟؟..

ملف العميل بابل..

وبداية ونهاية الطفل المعجزة

عصــام عبـد الفتــاح

القاهرة – أغسطس 2007

إهــداء

إلى أشرف مروان..

الرجل الذى فاق صمتُهُ صمتَ الجبال.. وعاش ناسكاً.. زاهداً.. متعبداً فى محراب البلد التى عاش حالةً إنسانيةً ووطنية فريدة من نكران الذات لأجله

وإلى روح الزعيم الخالد " جمال عبد الناصر " الرجل الذى لن يغيب عن عقل ووجدان كل مصرى.. وعربى..

أهدى هذا الكتاب..

عصام عبد الفتاح

المقدمــة

لهذا الكتاب قصة.. فقد استفزتنى كثيراً منذ سنوات الشائعات التى تلاحق أشرف مروان لتجعل منه أكبر علامة استفهام فى التاريخ السياسى والمخابراتى لما بعد 1973 وكانت الحقيقة غامضة تماماً بالنسبة لى مثلما كانت كذلك بالنسبة للجميع.. تائهة وسط أمواج عديدة من الأقاويل المتعارضة بشكل غير عادى.. فهناك من وصفه بأنه أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها وما هو إلا مجرد تاجر سلاح ورجل عصابات يلعب علي الجميع لمصلحته الخاصة تحميه أجهزة المخابرات العالمية التى يعمل تحت مظلتها.. وعلاقاته وصداقاته الوثيقة والعريقة مع بعض الملوك والأمراء والرؤساء العرب والأجانب.. ويستحق نهاية تناسب جرائمه التى لوثت يداه بدماء شهداء الوطن الذى خانه وباعه بحفنة دولارات..

بينما هناك فى الجانب الآخر علت أصوات أخرى تصفه بالبطولة وأنه كان عميلاً مزدوجاً زرعته المخابرات المصرية لتحقق من خلاله مكاسب استراتيجية بعيدة المدي وأنه من خلال الدور الذى لعبه ببراعة كان أحد أهم أسباب انتصار اكتوبر وبطل وطنى علينا أن نفخر جميعاً به..

* * *

وبدأت أسأل نفسى من هو أشرف مروان تحديداً وسط كل هذا؟. وكيف يتفق كل ذلك مع ماتولاه الرجل من وظائف ومهام غاية فى الحساسية؟. ولماذا يتردد اسمه دائماً فى الكثير من قضايا تجارة الأسلحة والمشروعات التى بها شبهة غسيل أموال؟. ثم ما هى حكاية " الطفل المعجزة ".. " الملياردير الصامت".. " العميل بابل "؟. وكلها أسماء أطلقت على الرجل الغامض.. وكيف كانت رحلة صعوده.. ثم سقوطه لاقياً حتفه بهذه الصورة الدرامية..

وأصبحت كل هذه الأسئلة تطرح بمجرد ذكر اسم الرجل الذى كان لديه مقدرةً خاصة على أن يخرج دائماً من أي وظيفة يشغلها أو دور يلعبه بصداقات غاية في الحساسية.. وبملايين من الجنيهات تضاف الى أرصدته الخاصة فى البنوك.. دون أن

يترك وراءه أثراً أودليلاً يحسب عليه.. أو يؤخذ ضده[1].

وكان من الطبيعى أن أبحث لنفسى عن إجابات مقنعة وسط كل هذا السيل من الأسئلة والحيرة التى كانت بلا حدود.. خاصةً بعد أن ساهم الرجل نفسه بصمته المريب فى زيادة حيرة الجميع.. وبدأ التساؤل المنطقى يفرض نفسه وهو متى ينطق الرجل؟.. لكنه أبى إلا الصمت!!

فهل كان صمته الغريب لأنه لم يكن لديه ما يقولـه؟.. أم لأسباب ودواعى خاصة بالأمن القومى لم يحن الوقت بعد للكشف عنها؟.. وتنفيذاً لتعليمات عليا تقتضيها مصلحة الوطن على الأقل مؤقتاً وإلى حين؟؟.. وهو ما أكده فيما بعد الرئيس حسنى مبارك بتصريحاته التى أعقبت وفاة أشرف..

* * *

وأصبح ملف عمالة أشرف مروان بوجهيه.. المرفوض تصديقه.. والمطروح إعلامياً.. يتأرجح بين العديد من الاحتمالات والتخمينات.. وبدأت تتسع دائرة علامات الاستفهام.. أولها حول الجانب الإسرائيلى الذى تطوع جهازه المخابراتى بإصرارغريب ليفضح الرجل بشكل غير مسبوق فى نفس الوقت الذى يروج فيه بأنه كان عميلاً لـه.. فما هو السر وراء ذلك؟.. هل هى محاولة من جانب إسرائيل للضغط على المخابرات المصرية لإخراج ملف أشرف مروان فى توقيت قد ترى المخابرات المصرية أنه ليس فى صالحها؟؟..

* * *

لكن كان الصمت الذى يغلف الموقف ككل ينطوى على ما هو أكثر غرابةً من صمت أشرف مروان.. فلم يكن الأمر يعنيه هو فقط.. ولكن يعنى أيضاً الجهات المسؤولة فى مصر التى قابلت هى الأخرى الأمر بتجاهل وصمت غريب أثار دهشة

---

1 - كان يتباهي أن كل أرقام حساباته وأوضاع امبراطوريته المالية.. ليست في دفاتر أو مسجلة ضمن أجهزة كمبيوتر.. وإنما كل شيء كان في مفكرة صغيرة أصر دائماً علي حملها في جيبه.

واستهجان الجميع وكأن الأمر لايمسها من قريب أو بعيد.. برغم أن الرجل كان ولا يزال محسوباً عليها بشكل بالغ الحساسية لأنه كان موظفاً كبيراً فى جهاز الحكم ومستشاراً سياسياً لرئيس سابق وفى نفس الوقت مندوبه وممثله فى مهام سياسية غاية فى الحساسية عربياً وعالمياً.. وأصبح أشرف مروان بما أثير حوله من أقاويل مادة خصبة ومتفجرة لبرامج عالمية يرد فيها ذكر مصر بشكل كبير.. ويتم الربط بين الرجل والوطن الذى عاش يمثله سياسياً لفترة ليست بالقليلة..

* * *

وكان للموقف رؤيةً أخرى تعنى أن الجانب الإسرائيلى قد تيقن وتأكد بطريقة أو بأخرى من خداع أشرف مروان لهم وأنه لم يكن عميلاً إسرائيلياً كما كانوا يتصورون وإنما عميلاً مزدوجاً عمل لصالح وطنه وكان أحد أهم الكروت التى استغلها الرئيس السادات ليتلاعب بهم ويذيقهم كأس الهزيمة التى مازالوا يتجرعون مرارتها حتى الآن.. فسعوا للانتقام من الرجل الذى كان له الدور الأساسى فى كل هذا بحرقة معنوياً ونفسياً وفضحه بهذا الشكل الغريب.. وربما نجد لهذا الطرح صدى فيما أكده مؤخراً " إيلي زاعيرا " رئيس المخابرات الإسرائيلية أثناء حرب أكتوبر عندما صرح للصحافة الإسرائيلية بقوله: «لقد خدم أشرف مروان مصر بشجاعة نادرة.. وساهم بذكائه في خديعة إسرائيل.. وأن عملية بابل - الاسم الكودي لأشرف مروان - من أبرز ما نفذته المخابرات المصرية.. قبل وأثناء حرب أكتوبر».. لكن ألا من الممكن أن تكون تصريحات زعيرا بغرض تدارك الخطأ الذى وقع فيه من قبل عندما صرح باسم عميلهم المخلص مثلما وصفوه أحياناً.. وللتعتيم على دور لعبه لصالحهم وحتى لايكون فيما بعد هدفاً للانتقام من جانب المخابرات المصرية.. احتمال يفرض نفسه ولايجب إغفاله إذا كنا نبحث حقاً عن حقيقة الرجل..

* * *

وحتى عندما تردد أن الرجل بدأ فى تنفيذ ما سماه بحلمه الخاص ويعنى به كتابة مذكراته ليوضح الحقيقة ويميط اللثام عن كل هذا الغموض المحيط بشخصه ويبرئ ساحته.. كان للقدر رأى آخر.. ورحل أشرف مروان ظهيرة يوم الأربعاء السابع والعشرين من يونيو بلا عودة.. ونزل إلى قبره حاملاً معه سره الكبير.. ولم يترك لنا سوى علامات الاستفهام تشعل الحيرة داخلنا.. وليس أمامنا إلا الاستنتاج والتخمين أحياناً.. والاجتهاد فى تحكيم المنطق بقدر الإمكان.. فهل كانت تلك المذكرات هى كلمة السر فى وفاته؟.. وكان من مصلحة البعض عدم خروجها للنور بما سوف تكشفه حتماً من أسرار..

* * *

وجاءت تبعات الوفاة تحمل فى طياتها بوادر تشير لملامح براءة للرجل.. فقد حرص عدد كبير من المسؤولين في مصرعلي الذهاب إلي المطار بأنفسهم لاستقبال جثمانه.. وشاركوا في مراسم تشييع الجنازة.. فيما يعتبر إشارة واضحة وصريحة.. وتحمل نفياً ضمنياً من جانب مصر للادعاءات الإسرائيلية..

فماذا قال الرئيس عن أشرف مروان؟.. الحقيقة أن ماقاله [1] يضع بعضاً من النقاط - وليس جميعها - فوق الحروف.. لكن على الأقل حسمت أقوال الرئيس مؤقتاً الجدل الدائر حول الرجل.. وقال الرئيس بالنص: إن الرئيس السادات والمشير أحمد إسماعيل قد تحدثوا معه شخصياً بعد حرب أكتوبر وأكدوا له أن أشرف مروان قام بأدوار بطولية وأعمال وطنية خدمت مصر كثيراً أثناء الإعداد لحرب أكتوبر١٩٧٣ ولم يحن الوقت بعد للكشف عنها.. وأشار إلى أن ما نشرعن إبلاغ أشرف مروان إسرائيل بموعد الحرب لا أساس له من الصحة فهو لم يكن جاسوساً علي الإطلاق لأي جهة.. ولم يكن هناك أحد يعلم ساعة الصفر لاندلاع حرب أكتوبر سوي الرئيس الراحل أنور السادات

---

1 - جاءت تصريحات مبارك للصحفيين فى الطائرة وأثناء عودته من أكرا حيث عقدت أعمال القمة الإفريقية التاسعة التى شارك فيها بغانا

وخمسة أشخاص آخرون فقط [1] وأضاف الرئيس مبارك أن عنصر المفاجأة في حرب أكتوبر كان أحد العناصر المهمة لتحقيق النصر.. وأن إسرائيل اعترفت بأنها تعرضت لخدعة كبري ولم تتمكن من معرفة ساعة الصفر بالضبط.. مما ساعد علي نجاح القوات المصرية في تحقيق النصر.. مؤكداً أن أشرف مروان كان وطنياً مخلصاً لوطنه ووطنيته لا تحتمل الشك مطلقاً.. وأشار فى تصريحاته أنه كان على علم دائم بتفاصيل ما يقوم به مروان لخدمة وطنه أولاً بأول.. فقد كان وطنياً كبيراً أدي لوطنه خدمات جليلة.. وأشار إلى أن مصر تتابع تحقيقات الشرطة البريطانية لمعرفة حقيقة ما حدث..

ونتوقف عند ماوصفه الرئيس مبارك بأنه كان " خدعةً كبرى " تعرضت لها إسرائيل.. فما هى هذه الخدعة؟.. هل كانت فى إبلاغ أشرف لهم بموعد خطأ للحرب؟.. وهل كان هذا هو دور أشرف مروان الرئيسى.. الذى نجح فيه باقتدار أياً كانت الإجابة فهى للأسف لن تنفى أن تلك التصريحات جاءت متأخرة كثيراً.. وتؤكد أنه ما زال فى الملف الكثير.. على الأقل نصف الحقيقة التى مازال تملكها المخابرات المصرية.. ولم تفرج عنها بعد.. ولكن فى كل الأحوال عانى الرجل من أهوال وضغط نفسى وعصبى غيرعادى وهو يلمح فى عيون الجميع حتى المقربين منه اتهامات باطلة بخيانته لوطنه.. ربما يكون قد دفع حياته ثمناً لها..

* * *

ويبقى السؤال الأهم هل قتل أشرف مروان؟ أم انتحر؟.. وإن كان قتل فمن المستفيد من قتله؟.. هل هو الموساد أم عصابات المافيا وتجار السلاح كما ردد البعض عقب وفاته؟.. وإذا كان قد انتحر.. فلماذا؟.. وهو الرجل المعروف عنه صلابته وشدة تماسكه أمام كل الصعاب والأهوال التى قابلته فى حياته..

---

1 - بحسب تصريحات مبارك كان هؤلاء الخمسة هم وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وقادة القوات الجوية والبرية والبحرية والدفاع الجوي. وأضاف الرئيس مبارك أنه كقائد للقوات الجوية أثناء حرب أكتوبر سلم إلي كبار القادة في القوات الجوية مساء يوم ٥ أكتوبر مظروفاً يحوي جميع التعليمات المطلوب تنفيذها في اليوم التالي.. للقيام بالضربة الجوية في الموعد المحدد.. وطلب منهم عدم فتح هذه المظاريف إلا في صباح اليوم التالي «السادس من أكتوبر»..

ووسط كل هذا الغموض يبقى مصرعه بهذا الشكل يحمل فى طياته العديد من الاستفسارات التى تبحث جميعها عن إجابة.. نحاول عبر الصفحات القادمة الوصول إليها..

القاهرة 2007/8/15

عصام عبد الفتاح

الفصل الأول: الطفـل المعجـزة وبداية رحلة الصعود..

إذا أردنا أن نلخص مشوار حياة الرجل فى كلمةٍ واحدة فسنقول " الطموح".. فهو لم يعرف فى حياته العملية سوى النجاح والتميز المطلق.. لعب فى ملعب السياسة فكان سياسياً ناجحاً ذوعلاقات قوية وتأثير شديد فى كل من التقاهم من الحكام والملوك العرب والأجانب على السواء.. تقلد العديد من المناصب الهامة وهو دون الثلاثين من عمره.. وعندما انتقل الى عالم البيزنس.. كان أيضاً رجل أعمال ناجح ومتميز بشهادة الجميع.. وملف ثروته التى تجاوزت المليارات يؤكد ذلك..

* * *

البدايات الأولى..!!:

بداياته الأولى لا تتوفرعنها معلومات كافية.. وكأنه أراد أو تعمد ذلك.. فلم يرد أبداً فى أحاديثه الشخصية سواءً الصحفية أوالخاصة على المستوى الاجتماعى والشخصى ما يفيد فى ذلك على الإطلاق.. ولد محمد أشرف مروان وهذا هو اسمه الكامل طبقاً لشهادة الميلاد فى فبراير عام 1945[1] لأسرة متوسطة.. الأب يدعى أبو الوفا مروان كان ضابطاً بالجيش قبل سطوع نجم ابنه ومصاهرته للرئيس عبد الناصر.. وبعد خروج الأب للمعاش شغل منصب رئيس مجلس إدارة شركة الأسواق الحرة.. ومرت أيام أشرف مروان كأى شاب آخر فى مثل سنه ينتمى لأسرة من الطبقة الوسطى مثل أسرته تماماً.. وبعد تنقله فى مراحل التعليم المختلفة حصل أشرف على بكالوريوس العلوم في الكيمياء عام 1965 بتقدير جيد وكان طموحه العلمى كبيراً فحصل على الماجستير.. وأثناء التحاقه بالعمل كضابط بالمعامل المركزية للقوات المسلحة بدأ يعد لرسالة الدكتوراة فى مجال كيمياء المتفجرات تحت إشراف د. أحمد مصطفى وزير البحث العلمى.. وحصل بالفعل عليها 25 ديسمبر عام 1973 من كلية العلوم جامعة القاهرة

---

1 - ذكر فى بعض الكتابات أنه ولد 1944.

عشية انعقاد مؤتمر القمة العربى بالجزائر وتم تسجيل درجته للدكتوراة بعد مناقشتها بجامعة " ليستر" بلندن فيما بعد.. وكان متفرغاً تماماً لعمله بالقوات المسلحة ومتابعة دراسته قبل إنتقاله للعمل بمكتب الرئيس عبد الناصر بعد زواجه من صغرى بناته منى والتى كانت تحديداً دون باقى أشقائها خالد وعبد الحكيم وهدى هى الأقرب من قلب والدها.. أحبها ودللها كما لم يحب أو يدلل باقى أولاده (1).. وكان زواج منى من أشرف هو ثانى زواج رسمى تشهده جمهورية مصر العربية.. بينما كان الزواج الأول فى 5 أغسطس 1965 لهدى الابنة الكبرى للرئيس والعريس هو حاتم صادق نجل السيد على صادق الوكيل السابق لوزارة الزراعة..

* * *

حكاية الشاطر " أشرف "!!:

كان زواج أشرف مروان ومصاهرته للرئيس الراحل جمال عبد الناصر هو بداية صعود نجمه بشكل كبير حيث بدأ اسمه يتردد على مسامع الناس.. والحقيقة أن ارتباط أشرف مروان بمنى عبدالناصر يشبه كثيراً قصة الشاطر حسن وبنت السلطان.. مع اختلاف بسيط هو أن الشاطر حسن وبنت السلطان كانا حدوتة من حواديت ألف ليلة وليلة.. بينما حدوتة أشرف ومنى كانت من بين ثنايا الواقع.. كما أن طموح الشاطر حسن انتهى بزواجه من بنت السلطان.. بينما طموح الشاطر أشرف بدأ فقط يوم زواجه من بنت الرئيس.. عموماً لا أحد يعرف تحديداً ملابسات وظروف تعارف أشرف ومنى وكيف انتهى الأمر بينهما بالزواج؟.. حيث أن المعلومات المتاحة أيضاً فى هذا الشأن نادرة وقليلة.. والرواية الأكثر شيوعاً أن التعارف بين الاثنين حدث فى نادى هليوبوليس.. حيث كانت منى صديقة لعزة شقيقة أشرف.. ونشأت بين منى وأشرف

---

1 - وائل الإبراشى.. جريدة صوت الأمة عدد 2 يوليو 2007

قصة حب توجت فيما بعد بالزواج بعد أن اصطحب أشرف والده الذى أصبح وقتها عميداً فى فرع الإمداد والتموين بالقوات المسلحة لزيارة بيت الرئيس حيث كانت الموافقة متوفرة مسبقاً بفضل الصورة التى رسمتها " منى " لأسرتها عن ذلك الشاب الوسيم.. صاحب الطموح العلمى الكبير.. والنجوم التى تزين كتفه وهو يتهادى ببدلته العسكرية بين طرقات نادى هليوبوليس ليصطحب شقيقته الصغرى" عزة " أقرب صديقات بنت الرئيس لقلبها.. الزواج لم يكن ينقصه سوى بعض الإجراءات الروتينية.. وتم فى وقتٍ وجيز [1]..

" أشرف " و " الزعيم "..!!:

فى البداية سارت العلاقة بين أشرف وأسرة زوجته كأحسن ما يكون.. لكن مرت فيما بعد بالعديد من المنحنيات.. ما بين الصعود والهبوط لأسباب سيلى ذكرها فى موضعها.. لكن بقيت العلاقة بين أشرف وصهره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هى الأهم.. فكيف كانت صورة العلاقة بينهما؟

البعض يقولون: إنه لم يكن يّكن هناك مساحة كافية من الود بين الرئيس وزوج ابنته خاصةً من جانب عبد الناصر الذى كان كما يقولون يتعامل معه كـ «حما».. وظل أشرف حتى آخر حياة صهره يقف أمامه مشدود الأعصاب.. يتلعثم عندما يتحدث معه [2].. وهنا نتساءل: لو كان ذلك صحيحاً ما الذى دفع الرئيس عبد الناصر رغم هذه العلاقة المتوترة للموافقة على إلحاق زوج ابنته بالعمل فى سكرتاريته الخاصة للمعلومات التى كان يرأسها وقتها سامى شرف.. كما أن منى زوجة أشرف وابنة عبد الناصر تنفى ذلك تماماً وبحسب ما قالته لمصطفى بكرى [3] فى حديث خاص بينهما بعد

1 - على حسب تأكيد الكاتب الكبير صلاح منتصر فى حوار خاص بينه وبين أشرف مروان.

2 - فى كتابه " السادات الحقيقة والأسطورة" ذكر موسى صبرى أن أشرف مروان كان يرتعش عندما يقف أمام عبدالناصر ولا يستطيع أن يتحدث معه دون أن يتلعثم.. ووصفه بأنه كان ثقيل لسان بالخلقة

3 - الحديث دار تليفونياً و نشر نص الحديث بجريدة الأسبوع فى عدده الصادر بتاريخ 7 يوليو 2007

الوفاة أن زوجها كان يكن قدراً كبيراً من الحب والاحترام لوالدها الرئيس الراحل.. وظل وفياً لذكراه حتى نهاية حياته وكان يناديه فى حياته " بابا جمال " وكان كثيراً مايردد عبارة " الحمد لله.. ربنا راضى عنى.. ووالدى جمال عبد الناصر راضى عنى.. ومصر دائماً فى عينى ".. كما أن أمين هويدى الكاتب الكبير ورئيس جهاز المخابرات السابق يؤكد أن عبد الناصر نفسه هو الذى أمر بنقل أشرف مروان زوج ابنته للعمل فى جهاز المخابرات لمهام خاصة وأنه لن يستطيع أن يكشف طبيعة هذه المهام التزاماً بسرية العمل [1]..

* * *

وكان يعمل بجانبه أيضاً عديله الآخر "حاتم صادق" القادم إلى سكرتارية الرئيس عبد الناصر منتدباً هو الآخر من محل عمله الأصلى بالمخابرات العامة.. بينما جاء مروان منتدباً من الحرس الجمهورى الذى كان يعمل فيه ضابطاً برتبة نقيب في السرية الكيميائية.. وهكذا لم يشغل أشرف مروان فى عهد صهره أي مناصب من الممكن أن نطلق عليها أنها مناصب حساسة.. وكذلك لم يعرف الثراء في عهده.. بل كان منصبه فى رئاسة الجمهورية منصباً شرفياً لا أكثر.. وكان راتبه عادياً جداً لا يرفعه لمصاف الأثرياء على عكس وضعه الوظيفى والمادى فى عصر السادات.. فقد كان وهو دون السابعة والعشرين منوطاً به الإشراف على أداء بعض الوزراء.. وأسند إليه العديد من المناصب الهامة مثل عضو لجنة تطوير وصناعة الأسلحة بين مصر وليبيا.. وعضو المجلس الأعلى للمشروعات الفنية فى مجال الطاقة النووية أيضاً بين مصر وليبيا..

* * *

1 - وائل الإبراشى.. صوت الأمة العدد الصادر بتاريخ 2 يوليو 2007..

هجوم لا يتوقف!!:

وعلى مدار تاريخه كله لم يسلم أشرف مروان من حملات الهجوم عليه.. فالمعارضون لعبد الناصر الذين لم يكن يجرؤ واحد منهم أن يرفع صوته فى حياة الرجل حاربوه بعد وفاته فى شخص زوج ابنته.. مشككين في قدرات وسوء اختيارات عبد الناصر وقراراته الخاطئة حتى فى اختياره لزوج لإبنته.. وكل ذلك كمدخل لتشويه الحقبة الناصرية بأكملها.. والبعض منهم كان يروج لمقولة أن ارتباط أشرف مروان بكريمة عبد الناصر كان بمبدأ: الغاية تبرر الوسيلة.. ولم يكن ذلك الزواج سوي وسيلة ليحقق الشاب الطموح أحلامه من خلال نسبه لرئيس الجمهورية.. وهنا نتوقف عند شخصية عبد الناصرالذى كان يرفض تماماً الخلط بين ما هو شخصى وعائلى من ناحية.. وبين ماهو عام ويدخل فى نطاق عمله من ناحيةٍ أخرى.. لنتسائل هل مثل عبد الناصر كان ليفوته مثل هذا الاحتمال؟؟ المؤكد أن الرئيس الراحل كان من الذكاء والحرص على ألا يفوته ذلك الاحتمال وهو يوافق على ارتباط صغرى بناته من هذا الشاب الوسيم الذى لاينتمى لِعلية القوم ولا لعائلة من الأعيان ولا يحمل رصيداً فى الحياة إلا شبابه ومستقبله فقط وجاء ليتقدم لخطبة ابنة الرجل الأول بالدولة.. ومما يؤكد كلامنا عن طبيعة شخصية الزعيم الكبير جمال عبد الناصر وأنه ما كان أبداً ليرضى من زوج ابنته أن يستغل اسمه أو علاقة النسب التى بينهما القصة التالية.. ففى كتابه «لمصر لا لعبدالناصر» يقول محمد حسنين هيكل:

حين تخرجت منى من الجامعة الأمريكية.. وكانت قد دخلتها لأنها لم تحصل على مجموع كاف يؤهلها لدخول الجامعة المصرية.. وجدت جمال عبدالناصر يطلبنى على التليفون ليقول لى ذات صباح وهو يضحك: «يظهر إننى سأقدم لك طلب استخدام لكى تأخذ منى فى أى عمل معك» والتحقت منى بقسم نشر كتب الأطفال فى دار المعارف المملوكة للأهرام بمرتب قدره ثلاثين جنيهاً.. وكان زوجها أشرف مروان يعمل فى

سكرتارية الرئيس للمعلومات موظفاً فى الدرجة السادسة بمرتب قدره اثنان وثلاثون جنيها فى الشهر.. ولقصة تعيين منى عبدالناصر فى دار المعارف جانب آخر مهم يرويه المسؤول عن دار المعارف فى ذلك الوقت.. وهو الدكتور السيد أبو النجا.. حيث روى تلك التفاصيل فى كتابه «مع هؤلاء» وفى الفصل الخاص بالرئيس جمال عبدالناصر يقول السيد أبوالنجا: «إن عبدالناصر لم يكن يعتبرنى من أنصاره.. ولكنه مع ذلك استجاب لرغبة ابنته السيدة منى بعد أن تخرجت من الجامعة الأمريكية - وكانت تلميذتى فيها - فطلبت أن تعمل معى فى «أراك» بدار المعارف أما ماجرى بينه و بين منى فيرويه على النحو التالى:

ذات يوم دق التليفون فى مكتب مديرة مكتبى السيدة كريمة حافظ.. وجاء صوت سيدة على الطرف الآخر تقول: أنا منى جمال..

فسألتها كريمة عما تريد؟.. قالت أريد أن أتحدث إلى الدكتور السيد أبو النجا..

فقالت كريمة: فى أى موضوع؟..

قالت: فى موضوع خاص..

فقالت كريمة: هل أنت قريبته.. أو من بلدته.. أو لك مصلحة خاصة أقضيها لك باعتبارى سكرتيرته؟.. فلما لم تتلق جواباً شافياً أقفلت التليفون.. وبعد قليل طلبتها مرة أخرى ولم تجد بداً من أن تفصح عن شخصيتها «أنا منى جمال عبدالناصر»..

فسألتها: هل أنت كريمة الرئيس؟ ولما أجابت بالإيجاب حولت الخط على الفور..

قالت لى منى أنها تود أن ترانى فرحبت.. قالت: متى؟.. قلت: الآن إذا أردت..

قالت: شكراً.. ولكن هل تسمح بتأجيل اللقاء إلى غد فى الوقت الذى تختاره..

قلت: سأكون فى انتظارك من النجمة..

وضحكت وضحكت.. وفى اليوم التالى جاءت مع زوجها أشرف مروان فذكرت أن والدها نبه عليها ألا تستخدم اسمه فى البحث عن عمل فى دار المعارف.. فعقبت على هذا بأن فى الدار بالصدفة وظيفة يشترط فى شاغلها أن تكون سيدة.. وأن يبدأ اسمها بحرف الميم.. واستغرقنا فى الضحك.. ولم أعرف كيف أتصرف مع منى عبدالناصر فلجأت إلى هيكل.. قال: أقترح أن تعطيها نفس المرتب الذى تعطيه لخريجى الجامعة الأمريكية.. وأن تطلب منها أن تمضى عند الحضور كما تفعل مع الآخرين.. وأن تحاسبها على التأخير فهذا مايسر أباها.. وهكذا عينت منى بخمسة وثلاثين جنيها فى الشهر تحت الاختبار لمدة ثلاثة أشهر.. وإن كانت قد بقيت معى ست سنوات ونصف وصل مرتبها فى نهايتها إلى خمسة وستين جنيهاً..

انتهت رواية دكتور سيد أبو النجا فى كتابه ونحن بدورنا نتسائل: كيف لرجل يتعامل هكذا مع ابنته أن يسمح لزوجها بأية تجاوزات قد تسيء لاسمه ووضعه.. سؤال لا يحتاج الى إجابة..

* * *

أشرف بعد رحيل الزعيم!!:

وبعد رحيل عبدالناصر المفاجئ والسريع تأثر مستقبل العديلين الطموحين حاتم صادق.. وأشرف مروان..

بالرغم من أن حاتم كان ينبغى أن يكون هو الأكثر ولاءً للسادات.. حيث كان هو الشخص الوحيد الذى قرر السادات إعفائه من تأدية الخدمة العسكرية عندما ذهب إليه خالد عبد الناصر يرجوه بذلك فوافق السادات وأصدر أوامره للفريق محمد فوزى بتوقيع القرار على الفور قائلاً: " يكفى أسرة عبد الناصر ما قدمه الرجل لمصر من تضحيات ".. إلا أن العكس هو ما حدث.. ولم يستطع حاتم أن يتواءم مع السادات والنظام الجديد

خاصةً بعد أحداث 15 مايو التى سيلى ذكرها لنرى إلى أى مدى أثرت تلك الأحداث فى حياة ومسيرة الاثنين والعكس هو ماحدث مع أشرف مروان.. رغم أن كلا العديلين حاتم وأشرف كانا يحملان الأهمية نفسها باعتبارهما زوجى بنتى الرئيس الراحل.. وحرص الاثنان أن يحمل مولودهما الأول اسم جمال.. وكان كل من العديلين يحمل طموحات هائلة..

15 مايو نقطة التحول الأساسية فى حياة أشرف!!:

ثم جائت أحداث مايو 1971 لتكون بمثابة نقطة تحول فارقة وحد فاصل فى تاريخ ومسيرة العديلين أسفرت عن نهايتين مختلفتين تماماً لكليهما.. الأول ابتعد وخرج كلياً من اللعبة.. والثانى صعد ولمع نجمه وتمتع بحظوة ومكانة سياسية ونفوذ غير مسبوق.. الغريب فى الأمر أن كلا الاثنين وقفا إلى جانب الرئيس السادات أثناء اندلاع الأزمة.. وكانا فى الخندق المضاد لما عرف باسم مراكز القوى.. بل وتؤكد هدى عبدالناصر أن زوجها حاتم صادق كان أحد الذين استهدفتهم مؤامرة 15 مايو من جانب سامى شرف تحديداً الذى كان يكن لهدى - على حسب تعبيرها - كراهية شديدة منذ أن عينها أبوها سكرتيرة لـه عام1969 بعد أن اشتدت عليه وطأة الأزمة القلبية.. لأنه كان يريد أن يكون القناة الوحيدة التى يمر من خلالها أية معلومات تصدر من وإلى الرئيس.. وبعد وفاة عبد الناصر وتزعم سامى شرف لما عرف بمراكز القوى اعتبر زوجها حاتم فى الخندق المضاد لـه ولمصالحه وسعى للتخلص منه ضمن من كان ينوى التخلص منهم قبل أن يبادر السادات ويتخلص منه هو وتابعيه.. وكانت الخطة كما جاءت فى التسجيلات أن يتم القبض على حاتم فى منزلـه..

* * *

لعبة التوازنات..!!:

وجاءت أحداث مايو 1971 لتتغير تماماً لعبة التوازنات السياسية فى مصر.. وتتبدل وجوه.. وتختفى وجوه.. وبين هذا وذاك لمع نجم الكثيرين.. فى نفس الوقت الذى انطفأ فيه نجم آخرين مثل الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل التى لابد هنا من الإشارة إلى قصته مع ثورة التصحيح التى كان هو مهندسها الأول.. وساعد السادات على وضع خطة مايو التى أطاح على أثرها السادات بما أسماهم " مراكز القوى" لينفرد بالحكم بعد ذلك دون شراكة مع أحد.. أو وصاية من أحد وهو مالم يفهمه أو يستوعبه هيكل فى حينه.. وكان هيكل يتخيل أنه يستطيع أن يلعب مع السادات نفس الدور الذى لعبه بالأمس مع ناصر.. فبدأت بوادر الصدام الدامى بين الاثنين بعد أن استتب الأمر للسادات.. وعندها قرر السادات أن يقصى هيكل عن عرشه فى الأهرام.. لكن هيكل لم يدفع وحده الثمن.. إذ إن خروجه من الأهرام أثرّ على عدد كبير من رجاله كان عليهم أن يرثوا خصومته مع السادات.. وعلى رأسهم جاء حاتم صادق.. الذى التحق بعد وفاة صهره عبد الناصر بالعمل فى مؤسسة الأهرام مع هيكل بناءً على رغبته الشخصية وكان من أقرب المقربين لحسنين هيكل.. لذا اعتبره السادات من الموالين لهيكل.. ومن أعداءه هو شخصياً خاصةً بعد أن أخذ حاتم يهاجمه بمناسبة ودون مناسبة.. ويلقى خطباً نارية ضد سياساته فى مدرجات جامعة عين شمس من وقتٍ لآخر.. مما أدخله بطريق غير مباشر فى صدامات متكررة معه.. بينما حسمت مواهب أشرف مروان الأمر لصالحه فقد كان أكثر استيعاباً للأمور..

* * *

فمن مكتب عبد الناصر.. وبصفته العائلية والوظيفية.. ثم بعد رحيل صهره ومن نفس الموقع وعن طريق تعيينه في إدارة المعلومات بمكتب سامى شرف رسم السادات

لأشرف مروان دوراً لم يجد أفضل منه ليقوم به مخترقاً من خلاله تكتل من اعتاد أن يطلق عليهم فيما بعد مراكز القوى أومن يرتدون قميص عبد الناصرأوالعصابة الناصرية.. وكان هؤلاء يحيطون به من كل اتجاه بمجرد اعتلائه كرسى الرئاسة ويتخيلونه حملاً وديعاً ومجرد ستار أو" كرفان " سوف يحكمون مصر من خلاله.. أما أشرف فكانوا ينظرون إليه باعتباره ابناً لهم يدين بالولاء الأول لصهره الراحل الذى يتسربلون جميعهم بردائه ومعادين فى ذلك الرجل الذى حل محله وبالتالى لاخوف منه على الإطلاق.. لكن على عكس ما تخيلوا جميعاً فقد كان أشرف هوعين السادات بينهم ليتابع ويعرف عن طريقه كيف يخططون.. وتأتى النهاية التى لم يتوقعوها بمساعدته هو شخصياً ليتمكن السادات من الإطاحة بهم جميعاً..

أشرف وحكاية خزينة عبد الناصر!!:

ويروى صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية والذى كان زميل دراسة للرئيس السادات فى مدرسة فؤاد الأول الابتدائية أنه كان هناك خزانتان سريتان فى منزل الرئيس الراحل عبد الناصر إحداهما كبيرة كان يوضع بها الأموال المخصصة للمصاريف السرية.. والأخرى صغيرة كان يحتفظ فيها الرئيس بالمستندات والتقارير التى تحمل قدراً كبيراً من الأهمية والسرية المطلقة القادمة فى الغالب من المخابرات والأجهزة الأمنية.. وبعد وفاة عبد الناصر أبلغت السيدة تحية زوجته المسؤولين بشأن هاتين الخزانتين.. ولما كان سامى شرف يحمل مفتاح إضافى للخزنة السرية فقد كلف محمد سعيد أحد المؤتمنين لديه بالذهاب إلى منزل الرئيس الراحل وإحضار تلك المستندات التى كان بعضها قد كتبه سامى شرف نفسه هو وأشرف مروان ضد السادات ورفعوها لعبد الناصر.. وكانت تلك المستندات بحسب تعبير الشاهد - تودى فى داهية - وبمجرد خروج محمد سعيد بالمستندات وانطلاقه بسيارته انطلق خلفه أشرف مروان وأطلق الرصاص من مسدسه الخاص على السيارة وتمكن من إيقافها والاستيلاء على ما

حمله محمد سعيد من مستندات واستبعد منها ما يدينه وحمل الباقى إلى الرئيس السادات وكأنه يقدم لـه عربون إخلاص غالى الثمن يدين ويكشف لـه كل أعداءه [1].

* * *

الحد الفاصل..!!:

ويهمنا هنا أن نتوقف قليلاً عن أحداث مايو 1971التى كانت كما قلنا حداً فاصلاً فى حياة أشرف مروان ومحطة هامة من أهم محطات حياته لنقف على حقيقة الدور الذى لعبه الرجل.. ففى مذكراته التى تحمل عنوان «البحث عن الذات» يحكى السادات عن هذه الواقعة فيقول: «فى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء 13 مايو 1971 جاءنى أشرف مروان وكان يعمل مديراً لمكتب سامى شرف.. يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة.. ووزير الحربية.. ووزير الإعلام.. ووزير شؤون رئاسة الجمهورية.. وأعضاء من اللجنة المركزية.. وأعضاء من اللجنة المركزية العليا.. وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد.. قبلتها جميعا..

* * *

بينما تقول جيهان السادات فى مذكراتها «سيدة من مصر» عن نفس الواقعة:

كنت أشاهد أنا وأنورأخبار العاشرة وهى آخر برنامج فى ذلك اليوم حين سمعنا طرقاً على الباب.. كان الطارق هوأشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبدالناصر وكان يعمل فى مكتب سامى شرف وزير شؤون رئاسة الجمهورية.. ورحبنا بأشرف إذ كان من أصدقائنا الشخصيين [2] ولكن ما جاء به كان الورقة الأخيرة فى الانقلاب المبيت..

---

1 - جريد الغد عدد 4 يوليو 2007.. ونعلق نحن بأن هذه الواقعة قد ذكرت بروايات عدة.. مابين إستيلاء أشرف على الخزينة بما تحتويه.. أو المستندات فقط.. وفى كلتا الحالتين أصبحت المستندات فى حوزة.. أشرف..

2 - لاحظ وصف جيهان السادات لعلاقة أشرف بالرئيس وأسرته

وهى استقالة رئيس مجلس الشعب.. و.. و.. قال أشرف «بشىء من الخجل»: إن الاستقالات ستذاع فى التليفزيون بعد بضع دقائق.. ونظر أنور إلى أشرف وهز رأسه كأنه غير مصدق.. وسألت الشاب الواقف أمامنا فى حرج: أشرف.. لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل؟

فقال: لم يدعنى الوزير أترك مكتبى؟

وقد يكون ماقاله أشرف حقيقيا.. فهو لم يكن إلا موظفاً عليه أن يطيع أوامر رؤسائه..

* * *

انتهت شهادة السيدة جيهان ولن تكتمل الرؤية إلا بالذهاب لشهادة سامى شرف أحد أضلاع المؤامرة نفسه.. فيقول عنها فى حواره مع الكاتب الراحل «عبدالله إمام» مايلى:

عندما جاء أشرف مروان - وكان يعمل معى - لتسلم الاستقالات لتسليمها لأنور السادات.. قلت له بالنص: -

" ياأشرف خذ هذه الاستقالات لتوصيلها إلى أنورالسادات بدون قيود وبدون أى شروط.. فأبلغنى أشرف أنه لن يستطيع الاستمرار فى عمله.. فطلبت منه أن يستمر.. وقلت له: أنت تقعد حتى أطمئن إلى وجود أحد أمين فى هذا المكتب [1].. وأنت لست طرفا.. أنا من حقى كوزير دستورياً أن أعرب عن رفضى لما يحدث بالاستقالة..

ويكمل سامى شرف باقى ماجرى بقوله: «عندما قبل أشرف أن يستمر ولا يستقيل كلفت سكرتيرى محمد سعيد بتسليم كل مالديه لأشرف مروان.. وقد تم هذا بعد منتصف

---

1 - لاحظ مدى ثقة سامى شرف فى مدير مكتبه أشرف مروان ووصفه بالأمانة التى كانت له ولآخرون مطلقة بحيث اختاروا مروان لحمل استقالاتهم وهى إشارة ذات دلالة كبيرة..

الليلـــة نفســها.. كانـــت هـــذه الأوراق ثـــلاث شـــنط جلديـــة بهـــا تســـجيلات لجميـــع محاضر الاجتماعات الرسمية لجمال عبدالناصر سواء فى مجلس الوزراء أو فى اللجنة التنفيذية العليا أو فى منزلـه بمنشية البكرى..»

* * *

وفـى مذكرات سـامى شـرف أيضـاً التـى تحمـل عنـوان «سـنوات وأيـام مـع جمـال عبدالناصر» يروى سامى شرف أنه بعد خروجه من السجن زاره كل الذين عملوا معه للتهنئـة.. وكـان مـن ضـمن ماقـالوه لـى مـايلى: «بعـد أن تـم اعتقـالى بأيـام حضـر إلـى سكرتارية الرئيس للمعلومات كل من محمد عبدالقادر حاتم.. ومحمد عبدالسلام الزيات.. وبعد أن قابلا أشرف مروان قام كل منهما وصعد إلى الدور الثانى من المبنى حيث أرشيف «سرى للغاية» الذى كان مسؤولاً عنه توفيق عبدالعزيز ودخلا حيث اطلع كل منهما على ملفه وغادرا المكان مباشرة بعد ذلك.. وبعد عدة أيام حضر إلى سكرتارية الـرئيس للمعلومـات محمـد حسـنين هيكـل ومعـه مصـور.. وقـام هـو وأشـرف مـروان والمصور لعدة أيام بتصوير كل ورقة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومـات.. وتم طبع نسختين ميكروفيلم تسلم كل منهما نسخة..

* * *

نخلص من القصة السـابقة التـى تعـدد رواتهـا أن أشـرف مـروان كـان لـه دوراً هامـاً ومؤثراً فى أحداث 15 مايو لعبه بذكاء شديد لصالح السادات وكلهم أجمعوا علـى ذلك.. وبعد انتهاء أزمة 15 مايو كـان لابـد مـن مكافأة أشرف مروان.. فتم إلحاقه بالعمل فى مكتب الرئيس السادات [1].

---

1 - ذكر بعض الكتاب أن أشرف مروان كان فى أول الأمر يريد أن يستحوذ على اختصاصات سامى شرف ولكن الرئيس السادات قال لـه: لسه بدرى ياأشرف.. لما تتمرن شوية على الشغل..

* * *

أشرف والعائدون من الكهف..!!:

ومن مكتب الرئيس وبأهمية أكبر بدأت علاقة أشرف مروان بالسادات تتسع بشكل كبير.. ليبدأ نجمه يبزغ بشدة أكثر.. وأكثر.. ولأن طبيعة الأمور تقتضى دائماً أن يكون هناك أعداء للنجاح.. ولأن ما فعله وحققه أشرف مروان فى سنوات وجيزة.. وسنٍ صغير لم يكن بالشئ الهين.. لذا استكثر عليه البعض كل هذا وبدؤوا يحاربونه فى السر والعلانية على السواء.. ولا يتركون فرصة إلا ويشهرون به.. ويعبر عن ذلك الكاتب موسى صبرى الذى تزعم تلك الجبهة والذى كان يريد من وراء حملته على أشرف أن يأخذ إلى جانب السادات المكانة التى كان «هيكل» يحتلها بجوار عبدالناصر.. حيث يقول بالنص فى كتابه «السادات الحقيقة والأسطورة»:

لم يكن أحد يتوقع أن يحتل هذا الشاب أى موقع بجوار أنور السادات.. فقد كان يعمل فى حياة جمال عبدالناصر مساعداً محدود الاختصاص لسامى شرف.. وقيل إن عبدالناصر كان لايثق فى قدراته.. وكان عمله مع سامى شرف هامشياً لمجرد أنه زوج السيدة منى كريمة عبدالناصر.. لكن أصبح لصيق الصلة رسمياً وعائلياً بأنور السادات منذ ليلة 15 مايوعندما ذهب إلى بيت الرئيس السادات ومعه استقالات مراكز القوى.. وسنتوقف فيما بعد كثيراً عند موسى صبرى وموقفه العدائى والغريب من أشرف مروان..

* * *

عموماً بدأ أشرف مروان عمله الجديد بمكتب الرئيس السادات.. واستطاع أن يستحوذ على ثقته المطلقة.. واتسعت اختصاصاته حتى وصلت إلى أصغر التفصيلات بما فيها اختياره لطاقم المضيفات فى طائرة الرئيس.. وكانت له صفتان فى التعامل مع

الرئيس السادات.. صفة عائلية كزوج لكريمة جمال عبدالناصر التى كان يعتبرها السادات بمثابة ابنته.. ثم صفته الرسمية فى مكتب الرئيس التى تطورت وأصبح له اختصاصه السياسى المميز والمغلف بإطار خاص من السرية بحيث لا يعلمه إلا هو ورئيس الجمهورية فقط حيث كان يقوم بتكليف مباشر من الرئيس بكل الاتصالات العربية المطلوبة والتى تدخل أصلاً فى نطاق اختصاصات وزير الخارجية مما أثار حفيظة إسماعيل فهمى الذى كان يحمل حقيبة وزارة الخارجية وقتها وخلق بينهما مشاحنات مختلفة سيلى ذكرها فى موضعها وذلك بالرغم من أن أشرف مروان كان فى بادئ الأمر على صلة طيبة ووثيقة بإسماعيل فهمى حتى أنه كان أحد القلائل الذين يدعوهم إسماعيل فهمى فى المآدب الرسمية الضيقة التى كان يقيمها فى منزله..

* * *

بين شقى الرحى..!!:

ومنذ البدايات الأولى لعمل أشرف بمكتب الرئيس السادات بدا كرجل وضعته أقداره ووضعه طموحه بين شقى الرحى.. فسيل العداءات أصبحت تحيط به من كل جانب.. حتى من بين موظفى مكتب الرئيس الذين كانوا يرفضون هذا التوسع الكبير والغامض فى اختصاصات الشاب الصغير بالنسبة لهم.. فبدأ البعض منهم يشكك للسادات فى تصرفات مروان.. وبرز فى ذلك اثنان من موظفى المكتب.. حاول أحدهما بحكم منصبه الأمنى فى مكتب الرئيس أن يفتش وراء أشرف مروان لكى يصل إلى وثيقة أو دليل يثبت ضده عملاً غير مشروع.. وكان يجاهر بعدائه لأشرف مروان متهماً إياه باستغلال موقعه الرسمى بما يسىء إلى سمعة الرئيس الشخصية.. وكان نفس الشخص وراء انتشار شائعات كاذبة تقول أن الرئيس وبعض أفراد أسرته يشاركون أشرف مروان فى مشروعات تجارية.. واستمرت محاولات الرجل للإيقاع بأشرف حتى

جاءته الفرصة على طبق من فضة عندما قدمت شكوى رسمية لجهة سيادية تتهم أشرف مروان بأنه حصل على عمولة من صفقة سيارات تم توريدها لرئاسة الجمهورية.. وسعى ذلك المسؤول الأمنى لتضخيم القضية فصدر قرار من " محمد أحمد " وزير شؤون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت بإحالة الشكوى إلى المستشار "محمد أبو علم " المنتدب بالرئاسة طالباً منه التحقيق فيها.. فرد أشرف مروان بإلقاء الاتهام على موظف كبير كان يعمل برئاسة الجمهورية وقتها وأكد أنه هو الذى حصل على العمولة.. وانتهى التحقيق إلى تبرئة الموظف الكبير وإلى عدم وجود دليل قاطع يدين أشرف مروان.. وقدم المستشار " محمد أبو علم " تقريره عن التحقيق الذى أجراه إلى "حافظ إسماعيل" مستشار الرئيس للأمن القومى حينئذ.. والذى رفعه بدوره إلى الرئيس السادات.. الذى لم يتخذ أى إجراء ضد مروان لعدم ثبوت التهمة ضده.. وهو ماعززّ الاقتناع لدى السادات بأن ما يوجه إلى أشرف مروان من اتهامات هو من قبيل التشهير به لقربه منه ورضاه الشخصى عنه.. وضاق السادات ذرعاً بكل هذا وطلب شخصياً من المسؤول الأمنى المشار إليه التوقف عن تلك المحاولات وعدم التفتيش وراء أشرف..

السادات خط الدفاع الأول..!!:

وأدرك أشرف مروان أن الأمور لن تستقيم له دائماً وسط كل هذا الكم الكبير من المؤامرات التى تحاك ضده.. فأخذ يتقرب أكثر وأكثر من الرئيس السادات خط دفاعه الأول للبقاء بمنصبه وبما يحمله فى حقيبته من مهام كان يستمد منها بلا شك أهمية خاصة لديه واقترب أشرف مروان بمرور الوقت أكثر وأكثر من السادات وعائلته وكان حريصاً على أن يستنفر دائماً مشاعر الأبوة لدى السادات تجاهه وتجاه زوجته خاصة بعد أن اتخذت أسرة عبدالناصر «أرملته وكريمته هدى وزوجها حاتم صادق» موقفاً معادياً منه هو وزوجته لمجرد قربه من السادات وعمله بجواره.. وكان يروى للسادات معاناته هو

وزوجته من ذلك الاضطهاد.. وكان السادات يقدرذلك جيداً فى تعامله مع الشاب الذى ضحى باستقراره العائلى هو وزوجته من أجله.. وكان أشرف من جانبه إذا أخطأ فى أمر ما - وهو بالطبع شئ وارد - يسارع إلى السادات معتذراً ومرتدياً ثوب الابن المعترف بخطأه.. وإذا نسب إليه خطأ غير مؤكد كان يسارع ويقدم أدلة براءته ويهاجم خصومه متهماً إياهم بأنهم يحقدون عليه لنجاحه وهو لايزال شاباً ناجحاً فى سن مبكرة [1]..

* * *

سر علاقته الخاصة بالنظام الليبى..!!:

جاءت العلاقات مع ليبيا فرصة كبرى أمام أشرف مروان لكى يدعم موقفه فى مكتب الرئيس السادات.. بعد نجاحه فى مد جسورعلاقات شخصية خاصة ووثيقة مع عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية الوليدة فى ذلك الوقت.. بدءاً من العقيد معمر القذافى قائد الثورة نفسه.. وإنتهاءً بباقى أعضاء مجلس قيادتها و على رأسهم عبدالسلام جلود [2] الذى كان يعتبر وقتها هو الرجل الثانى فى النظام الليبى ككل.. وكان أشرف مروان هو صديقه الأقرب.. ومن هنا تعمقت الروابط الشخصية بينهما.. وساعد تقارب السن بين قيادات ليبيا وأشرف مروان الذى كان يمتلك " كاريزما " خاصة على تعميق وتوطيد هذه العلاقة التى كانت تتسم بالتفاهم الشديد.. ولذلك فقد كان السادات يوفده فى مهام كثيرة إلى ليبيا أداها جميعها بنجاح.. وما يؤكد مكانة أشرف عند النظام الليبى وقتها تلك الواقعة التى رواها نجيب محفوظ فى مذكراته.. وتحكى قصة لقاء جرى فى مؤسسة الأهرام بين العقيد القذافى ومثقفى وكتاب الأهرام.. وكان «هيكل» هو الداعى

---

1 - على حسب تعبير عادل حمودة فى مقاله الخاص بجريدة الفجر عقب مصرع مروان

2 - بحسب ما تردد أنه كان يحضر إلى القاهرة هرباً من القيود التى فرضها القذافى على شرب الخمور فى ليبيا.. عادل حمودة بجريدة الفجر عقب مصرع مروان

والمنظم لهذه الندوة ويديرها أيضا.. فى تلك الندوة تساءل نجيب محفوظ:

هل فى إمكاننا الآن أن نحارب إسرائيل؟..

وعلق الكاتب أحمد عباس صالح [1].. أنه ليس بوسعنا الحرب فى تلك الظروف؟.. وهنا طالب نجيب محفوظ بأن نسلك طريق التفاوض..

وعلّق العقيد القذافى على رأى نجيب محفوظ بقوله:

أنت معذور فى أن تقول مثل هذا الكلام.. لأن تكاسل الرؤساء العرب يدعو إلى خلق هذه الأفكار الانهزامية..

وتدخل هيكل فى الحديث محاولاً تغيير مجراه فأعطى الكلمة لأشرف مروان.. واثقاً من كونه أدرى الحضور بأفكار القائد الليبى الشاب بثوريته المعروفة.. وبالفعل استطاع أشرف أن ينقذ الموقف من تأزمه المفاجئ وأكد أن الحرب مستمرة وأعلن رفضه للرأى القائل بوجوب التفاوض.. وذكر أن مصر فى طريقها للحصول على صفقات أسلحة ستمكنها من دخول المعركة.. وهو ما كان القذافى يريد سماعه..

وهذه الواقعة تشير الى أن علاقة أشرف مروان بالقيادة الليبية كانت بالفعل شديدة الخصوصية.. وإلا فبأى صفة حضر مروان هذه الندوة التى أقامها الأهرام للرئيس الليبى؟..

* * *

1 - لم يجزم أستاذ نجيب محفوظ بشخصية من علّق على كلامه.. وأشار الى أن أغلب الظن أنه كان الكاتب الصحفى المشار اليه..

حزب أعداء النجاح..!!:

ونعود لحزب أعداء النجاح الذين تلقفوا أشرف مروان على صعيد آخر وهو تأليب الرأى العام عليه والذى تزعمه كما قلنا موسى صبرى الذى خصص أحد فصول كتابه المشار إليه سابقاً وهو الفصل العشرين للحديث عن بعض الشخصيات التى كانت قريبة من الرئيس السادات وحدد منها عشر شخصيات[1] وحظي أكثر واحد من هؤلاء بست صفحات من الكتاب.. بينما حظى آخرون بصفحتين لاغير.. إلا أنه آثر أشرف مروان بـ 16صفحة كاملة.. قال عنه فيها أكثر مما قال مالك في الخمر.. وشاركه فى حملاته تلك بعض الكتاب الصحفيين مثل جلال الحمامصى وعلى أمين [2].. ويعترف موسي صبري بنفسه وبلا خجل فى كتابه عن السادات بأنه كان يرتب لعقد جلسات مطولة هو والمجموعة المشار إليها مع السادات للضغط عليه حتي يستبعد أشرف مروان .. وانضم إليهم وشاركهم تلك الجلسات " محمود أبو وافية " عديل السادات وأحد المقربين منه شخصياً.. ويذكر موسى وقائع محاصرة عديل السادات لـه أكثر من مرة.. وسؤاله المتكرر عما يعجبه في مروان وسط كل ما يثار حولـه وكان رد السادات لا يتغير فهو يوجهه للقيام بأدوار لاتسمح للسادات كرامته القيام بها..

وكانوا هؤلاء جميعاً هم محركو موجات الهجوم والتشنيع على أشرف مروان فى كل مراحله التصعيدية التى مر بها فى السبعينات.. من مدير لمكتب الرئيس للمعلومات ورسوله الخاص إلى الرؤساء العرب.. إلى رئاسته لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع.. وما تردد عن اشتغاله بأعمال تجارية واسعة النطاق وعلاقته بتجارالسلاح فى العالم والشرق الأوسط..

---

1 - وهم مصطفي خليل.. سيد مرعي.. عزيز صدقي.. عبد العزيز حجازي.. ممدوح سالم.. منصور حسن.. النبوي إسماعيل.. حسن كامل.. أشرف مروان.. عثمان أحمد عثمان..

2 - كان أول هجوم على أشرف مروان فى الصحافة المصرية من على أمين.. وقد أطلق عليه اسم «الطفل المعجزة» الذى يملك طائرة خاصة يسافر بها فى رحلات خاصة مثل أصحاب الملايين..

واشتهرت تلك المجموعة من الكتاب باسم آخر أطلق عليهم وهو" العائدون من الكهف" وهم يمثلون طائفة من الكتاب والصحفيين أخرجهم السادات من ذاكرة النسيان التى ألقت بهم فيها الحقبة الناصرية.. ليجعل منهم كُتاّبه المقربين.. وليعيد توزيع تركة هيكل الصحفية عليهم.. فرسم لكل منهم دوراً يماثل أحد الأدوار التى كان يلعبها كاتب الناصرية الأول.. فهذا مستشاره المقرب.. وهذا يكتب خطاباته.. وهذا يرافقه فى كل رحلاته الداخلية والخارجية.. وذاك يمارس معه رياضة المشى الصباحية التى كان يبدأ بها يومه.. واشتدت الحملة من رجال السادات على أشرف مروان الذى كان دائم الصعود كالصاروخ.. ولعبوا جميعهم بلا استثناء أدوراً هامة بشكل أو بآخر فى حملة التشهير بأشرف مروان حيث كانوا يرون فيه صورةً مجسدةً لشاب نجح فيما فشلوا هم فيه.. فقد استحوذ تماماً على عقل السادات.. وانتزع لنفسه مكانةً مميزةً فى غرفة صنع القرار بجواره.. وقبلها كان له دوره أيضاً فى الحقبة الناصرية التى كان محسوباً عليها بحكم علاقة النسب بينه وبين الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فتحولت كراهيتهم لعبد الناصر ولفترة حكمه إلى كراهية وعداء شديدين لصهره أشرف مروان بل ولوالده اللواء أبو الوفا مروان وأيضاً زوجته منى عبد الناصر.. وبدؤوا يفتشون وراء الاثنين..

حكاية (مستر 5%)..!!:

ولعب هذا الدورالكاتب الصحفى جلال الدين الحمامصي حيث بدأ أولاً بالهجوم على والد أشرف الذى كان وقتها يشغل منصب رئيس مجلس إدارة الأسواق الحرة واتهمه في ذمته المالية.. يقول الحمامصى فى كتابه " حوار وراء الأسوار ":

(إن والد أشرف مروان كان يطلق عليه (مستر 5%) وهى قيمة العمولة التى اختص نفسه بها من العديد من العمليات التى كانت تمر من تحت يديه).. ويؤكد الحمامصى أنه كان قد جمعه فى السبعينات لقاء مع زكريا توفيق عبد الفتاح وزير

التجارة وقتها فى حفل عشاء وسأله عن حكاية مستر 5% فقال لـه الوزير: نعم إنها حقيقة.. وأكد لـه الوزير أن رئيس الوزراء وقتها كان يلح عليه لإحالة والد أشرف من منصبه التابع إدارياً للوزير إلى المعاش تخلصاً ممايسببه لهم من حرج.. ويذكر الحمامصى نفسه أنه قد جمعه لقاء آخر مع رئيس الوزاء ممدوح سالم وسأله عن موضوع أبو الوفا مروان فوضع رئيس الوزراء يده على ملف ضخم ومتخم بالأوراق كان موضوعاً أمامه على مكتبه وقال لـه: هذا هو " أبو الوفا مروان ".. وكلها شبهات فى استغلال الرجل لما يتمتع به ابنه من نفوذ ليتربح من خلاله.. الغريب أيضاً أن والد أشرف ثبتت براءته من تلك الاتهامات..

أشرف يستغل نفوذه..!!:

ثم وصل إلى يد جلال الحمامصى بطريقة أوبأخرى خطاب يحمل توصية من أشرف مروان لصالح زوجته لتشترى بناءً عليه قطعة أرض فى كرداسة مساحتها (23) فدانا ودفعت ثمناً لها مائة وخمسين ألف جنيه.. واتهم الحمامصى أشرف باستخدام نفوذه كسكرتير لرئيس الجمهورية فى تسهيل عملية البيع وشن حملة عنيفة على أشرف واتهمه بأنه يحاول إعادة مراكز القوى من جديد.. فلم يجد السادات مفراً من تحويل الأمر برمته إلى المدعى العام الإشتراكى.. وتم تبرئة أشرف من هذه الادعاءات.. لكن تكرر نفس الموقف مرةً أخرى حيث اشترى أشرف قطعة أرض أخرى باسم زوجته ثم باعها وكسب فيها مبلغاً كبيراً واتضح أن المشترى هو «كمال أدهم» شقيق زوجة الملك فيصل وقتها ومسؤول المخابرات السعودية ذى الصلة الوثيقة بالمخابرات الأمريكية.. وتسربت الأوراق إلى «الحمامصى» الذى جدد حملته على أشرف.. ولكن السادات لم يتخذ إجراءً هذه المرة [1].. ومن هنا بدأت أنباء العلاقة الغامضة بين أشرف مروان وكمال أدهم تخرج للنور لتثير العديد من الأسئلة..

---

1 - ذكر ذلك الدكتور محمود جامع فى كتابه " عرفت السادات"..

اتهامات باطلة..!!:

والغريب أن كاتباً صحفياً مخضرماً مثل موسى صبرى والمفترض فيه أنه يعرف تماماً الفرق بين ترويج الشائعات.. وتحقيقها صحفياً وتاريخياً.. باعتباره حاول أن يرتدى ثوب المؤرخ أوعلى الأقل الصحفى العالم ببواطن الأمورلم يحاول أن يوثق ادعاءاته التى طال بها الرجل وحتى لم يتمكن من إدانته فى أى منها وإنما تركها مرسلةً بلا توثيق.. وبدأ يشن حملات متوالية وضارية ضده ويمد أعضاء مجلس الشعب وفى مقدمتهم الدكتورحلمى مراد بما يصلح لتقديم استجواب عن أعمال أشرف [1] مكتفياً بأن يثير حول الرجل موجات ضبابية من الشكوك .. فمرة يتحدث عن تلقى أشرف مروان عمولات خاصة من صفقات أسلحة وطائرات.. ثم صفقة السيارات التى تم توريدها إلى رئاسة الجمهورية والمشار إليها سابقاً.. ثم القصة الأكثر بشاعة وغرابة وهى إشاعة سرقة مجوهرات من حجرة أشرف مروان بأحد فنادق لندن [2]..

.. ولهذه الواقعة تحديداً قصة غريبة فبعد أن بدأ إسماعيل فهمى يضجر من طغيان مروان على اختصاصاته كوزير للخارجية.. أخذ يسرب إلى الصحف أخباراً تمس سمعة أشرف مروان.. حدث أن اتصل عبدالحميد عبدالغنى رئيس تحرير «أخبار اليوم» فى السبعينات به ليسأله عن خبرما وكان الاثنان تربطهما معاً علاقة صداقة شخصية.. فأجابه إسماعيل فهمى بأن مايسأل عنه شيئاً غير ذى أهمية قياساً بخبر آخر سوف يأسره به.. وعندما تحركت حواس عبد الغنى الصحفية كانت المفاجأة التى أخبره فهمى بها وهى سرقة كمية من المجوهرات تقدر قيمتها بعشرات الآلاف من الجناح الذى كان يقيم به أشرف مروان فى أحد فنادق لندن.. والأمر يحمل فى طياته اتهاماً غير مباشر من وزير الخارجية لأشرف مروان.. وأكد وزير الخارجية لرئيس تحرير الأخبار سرية

1 - المصدر السابق

2 - ذكر فى العديد من المصادرأن راتبه فى بداية حياته الوظيفية لم يكن يتجاوز 33 جنيه

الخبر الذى لم تكن وكالات الأنباء قد نقلته وأنه تلقى الخبر بصفة رسمية وسرية.. وكتب رئـيس التحريـر قصـة السـرقة بـدون أسـماء.. لكـن بشـكل يـوحى بـأن المقصـود بالخبر هوأشرف مروان.. ونشر الخبر فى كل من أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة فى شكل تحقيقات مطولة وصفته بـ "الفضيحة ".. وبعد النشر اتصل السادات بموسى صبرى يستوضح من المقصود بالخبر [1] فأجابه بأنه أشرف مروان.. وأمام السادات تحدي " أشرف مروان " الجميع وطالبهم بالبينة.. وهذه القصة تنطوى على قدر غيرعادى من السذاجة فأين صاحب هذه المجوهرات؟ ولماذا تواجدت تلك المجوهرات أصلاً فى حجرة أشرف مروان بالفندق؟؟ هل نسيها نزيل سابق مثلاً؟.. إن المجوهرات التى وصفها وزير الخارجية وقتها بأنها تساوى عشرات الآلاف من الجنيهات يقطع بأنها حجمها لم يكن صغيراً حتى ينساها صاحبها هكذا وكأنه ينسى علبة سجائره.. أم كانت إدارة الفندق تتخذ من غرف النزلاء خزائن لوضع الأمانات بها وهو ما لايقبله عقل؟.. عموماً القصة من بدايتها واضح أنها مجرد اختلاق وأكاذيب والمقصود منها فقط إثارة نوع من البلبلة.. وهذا ما تأكد فيما بعد عندما كلفت أخبار اليوم " زغلول السيد " مدير مكتبها في لندن بتحري الحقيقة بتكليف من السادات .. وكان رد " زغلول " بعد فترة أنه سعي لدي كل الجهات بما فيها الشرطة البريطانية " اسكوتلاند يارد " وبعض الجهات الأمنية السرية.. ونفي الجميع صحة هذه المزاعم.. وهنا طالب السادات " مروان " بمقاضاة أخبار اليوم.. إلا أنه اكتفى بما حدث وتيقن السادت شخصياً من برائته ورفض مقاضاتهم..

* * *

1 -.. كان تعليق الرئيس أن الكثيرين تصوروا أنه خالد بن جمال عبدالناصر الذى يدرس فى لندن.. وقال السادات لموسى صبرى بحسب ما جاء فى الكتاب: إننى لا أجور على حرية الصحافة.. ولا أحمى أحداً.. ولكننى ضد نشر الأخبار المعماة التى يمكن أن تسىء إلى أكثر من شخص.. إذا كان لديكم خبر عن شخص.. أى شخص.. وأنتم متأكدون من وقائعه.. انشروا الخبر بالأسماء.. حتى لا يظلم برىء.. مصدر سابق.. كتاب السادات الحقيقة والأسطورة .

السادات يقول: أشرف الشخص المناسب..!!:

ولم ييأس موسي صبري وجماعته وذات يوم فاتح الرئيس [1] مباشرةً دون مواربة فى موضوع أشرف مروان وسأله بتعجب واندهاش: إن الشعب يرفض أشرف مروان.. فلماذا تتمسك به؟ فرد عليه الرئيس قائلاً: أنا لا أقبل أن أمد يدى إلى أى حاكم عربى ولكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة.. وأشرف يقوم بهذه المهمة.. ويستطرد موسى قائلاً: أن دبلوماسية السادات التى تعتمد على الاتصال المباشر مع الرؤساء كانت تجد فى شخص أشرف مروان من يستطيع تنفيذها بدون بروتوكول وإجراءات رسمية.. فهو عندما يذهب إلى السعودية مثلاً لا يعامل وفقاً لقواعد البروتوكول.. كما أنه من الممكن أن يتحدث إلى الأمراء العرب وغيرهم بغير كلفة أو رسميات.. ويعبر لهم بكلام صريح عن التصرفات التى تغضب السادات.. أوالمطالب التى يريد السادات تحقيقها.. وفى هذا يختلف تماماً عن وزير الخارجية.. وكان السادات يجاهر بالثناء على أشرف مروان وعلى أمانته وكفاءته فى توصيل الرسائل المطلوبة وقدرته الخاصة فى التعامل مع الأمراء العرب وإقناعهم بمطالب ووجهة نظر القاهرة.. وأنه قدم لمصر خدمات جليلة قبل حرب أكتوبر ونجح فى إقناع كثير من الدول العربية بتقديم السلاح والمساعدات المختلفة..

وموسى يصعد الحملة ضده..!!:

لكن موسى الذى كان فيما يبدو يأخذ موضوع وقضية أشرف مروان بمنظور شخصى غريب لم يتوقف أمام ثقة السادات الشديدة فى الرجل.. ولا أمام تعمده تجاهل كل ما يسربونه له من شائعات عديدة وأقاويل تراكمت أمامه يوماً بعد يوم مثل اعتياد أشرف مروان لعب القمار على موائد نادى «البلاى بوى» بلندن وخسارته مبالغ مالية باهظة هناك.. وحياة البذخ التى يعيشها فى شقته الخاصة التى يملكها فى لندن.. واستمر

---

1 - الكلام مازال على لسان موسى صبرى فى نفس الكتاب

موسى يلمح لعلاقات خاصة ومريبة تجمع مروان بكل من الملك حسين وعلاقات غامضة ومشبوهة مع كل من كمال أدهم [1] وهنرى كيسنجر أشهر وزير للخارجية الأمريكية.. وجعل من أشرف مروان قضيته الخاصة التى لايمل من الضغط بكافة الوسائل على الرئيس ليأخذ موقفاً منها بالشكل الذى كان يتمناه ولا يحتمل إلا الإقالة لـ " الطفل المعجزة " كما سماه على أمين وكم كان يحلو لهم تسميته.. وزاد السادات فى تجاهله لكل تلك المحاولات المكشوفة من صبرى وحزبه..

أشرف وعلاقات أخرى غامضة..!!:

ونعود إلى ما طرحه موسى صبرى من وجود علاقة غامضة تجمع مروان بكل من كمال أدهم ووزير الخارجية الأمريكى.. فللحق لم يكن موسى صبرى وحده هو من أشار إلى تلك العلاقة.. فقد أشارت كثير من المصادر الأخرى إلى أن أشرف مروان ارتبط خلال مشوار حياته مع ثلاثة أشخاص بصداقة خاصة وروابط سياسية من نوع غامض.. هذان الاثنان وشخص آخر ثالث لايقل عنهما أهمية على الصعيد الدولى وهو الملياردير السعودى وتاجر السلاح المعروف " عدنان خاشقجى " المولود فى مكة 25 يوليو 1935 والذى وصف فى وقت من الأوقات بأنه أغنى أغنياء العالم وأشهر تاجر سلاح عربى.. وخصصت لـه مجلة التايم الأمريكية غلاف عددها الصادر فى 19 يناير 1979 بالكامل.. لكن بقى المعلن من تلك العلاقة شذوراً وذلك بالقياس لعلاقة مروان بالاثنين الآخرين كمال أدهم وكيسنجر.. فالأول [2] بدأت علاقة أشرف به من أوائل السبعينات

1 - التلميح هنا من موسى صبرى لدور كمال أدهم الذى كان وقتها وكيلاً لشركة طيران «البوينج» فى الشرق الأوسط.. والذى نجح فى إتمام صفقة البوينج التى قدم بسببها إلى المحاكمة نوح «وزير الطيران» ومرزبان «وزير الاقتصاد» فى وزارة عزيز صدقى وقيل إن أشرف مروان هو الذى أبلغهما بضرورة قبول التعاقد مع كمال أدهم الذى كان يتقاضى عمولة عن كل طائرة تباع فى هذه المنطقة باعتباره وكيلاً للشركة فى الشرق الأوسط وحكم القضاء ببراءتهما.

2 -.. بالرغم من أن كمال أدهم كان معروف عنه صداقته الشخصية للرئيس السادات منذ بدايات ثورة يوليو حتي مصرعه

وتطورت تلك العلاقة فيما بعد إلى الشراكة فى أمور تجارية واستمرت العلاقة بينهما طويلاً.. على عكس الثانى الذى بالرغم من أن علاقته بأشرف مروان كانت وثيقة للغاية واستطاع من خلالها أشرف بالفعل أن يكون ضلعاً هاماً ومؤثراً وعلى دراية بكل أسرار المباحثات المصرية الأمريكية.. وأكبر دليل على ذلك اختيار كيسنجر لمروان ليجلس إلى جواره على مائدة واحدة عندما كان ضمن الوفد المصرى الذى دعاه الرئيس الأمريكى وقتها " فورد " للعشاء بالبيت الأبيض فى أول زيارة للسادات لأمريكا عام 1975.. إلا أن تلك العلاقة كانت مرهونة ببقاء كيسنجر فى بؤرة الأحداث السياسية وهو مالم يستمر طويلاً.. وتلاشت العلاقة بينهما فيما بعد بالتدريج.. لكن من المهم هنا الإشارة إلى أن كلاً من أدهم وكيسنجر كانا بمثابة الجناحين اللذين استخدمهما أشرف مروان ليحلق بهما فى سماء طموحه كيفما شاء.. الأول كان بالنسبة له جناح الدعم المالى الذى يستمد منه قوة الدفع المالية المطلوبة لتوسيع إمبراطوريته المالية.. وكان هو يرى فى أشرف العقل المدبر والمخطط لكل صفقاته بما يتمتع به من نفوذ وحظوة لدى العديد من ملوك ورؤساء الدول العربية وبعض الدول الأوربية.. بينما كان وزير خارجية أمريكا الجناح الآخر الذى يعطي أشرف ثقلاً سياسياً على مستوى العالم لحساسية موقعه وقوته الشديدة فى بلاده ومؤسساتها المختلفة..

وتقودنا تلك العلاقة تحديداً إلى نقطة غاية فى الأهمية فى ملف عمالة أوعدم عمالة أشرف مروان للموساد وهى أن الإدارة الأمريكية على أعلى مستوياتها لم تكن غائبة عن متابعة أشرف ولم يكن بالنسبة لها شخصاً مجهولاً.. وعلى ما بين الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية من تعاون وتكامل على أعلى المستويات.. فهل كانت المخابرات المركزية الأمريكية هى الأخرى تجهل وقتها دور الرجل الذى كان يجلس على مائدة واحدة مع وزير خارجيتها وتجمعه به صداقة من نوع خاص جداً..

السادات يرتب أوراقه للاستغناء عن أشرف..!!:

وكان السادات كلما أعلن تمسكه بأشرف مروان وثناءه عليه كلما ازدادت الحملة ضد الأخير ضراوةً وعنفاً.. ومضى خصوم أشرف وأعداؤه يتصيدون له الأخطاء ويتحينون الفرصة حتى قيل أنهم نجحوا فى تسجيل لقاء له مع بعض الحكام العرب وكان ينتقد فيه سياسات السادات الذى غضب من ذلك بشدة [1].. ودرءاً للشبهات.. وتخوفاً من تزايد وتضخم حجم علاقات وصفقات أشرف خاصةً بعد أن انتهى دوره الأساسى فى الإيقاع بمراكز القوى الذى خطط له السادات بدهاء وحنكة شديدين.. وبانتهاء ذلك الدور وأدوار أخرى هامة اختص بها السادات مروان.. بدأ السادات يرتب أوراقه للاستغناء عن خدماته..

* * *

بالتكريم.. لا بالإقالة..!!:

وجاء خروج أشرف مروان من دائرة صنع القرار بالقرب من السادات على مرحلتين يفصل بينهما فقط عدة شهور.. أولاً أبعده عن العمل بمكتبه فى رئاسة الجمهورية بشكل يوحى بالتكريم.. لا بالإقالة.. حيث أصدر قراراً جمهورياً يوم 9 أكتوبر 1978 من عدة سطور بنقل أشرف مروان من الهيئة العربية للتصنيع والإنتاج الحربى إلى وزارة الخارجية.. وطلب رسمياً من الصحف القومية أن تنشره على عمود واحد.. دون تضخيم ودون تعليق.. وكان هذا المنصب الجديد الذى نقل إليه أشرف مروان فى 22 مارس 1976 بترشيح من الدول العربية المساهمة فى الهيئة.. واعتبرالسادات ذلك محققاً لهدفين.. الأول إبعاد أشرف مروان عن رئاسة الجمهورية وإسكات كل الألسنة التى لاهم لها إلا الوشاية لديه بمروان.. ثم الاستفادة من علاقات أشرف القوية بالدول المساهمة فى الهيئة العربية للتصنيع والتى اختاره قادتها بأنفسهم

---

1 -.. مذكرات الدكتور محمود جامع.. مصدر سابق

لإدارتها.. أى أن السادات كان يطمئن إلى أشرف مروان فيما يتصل بالشؤون الخارجية نظرا لصلات أشرف فى هذا الشأن..

إشاعات أخرى بلا دليل..!!:

وحول ما أشيع عن استغلال أشرف مروان لموقعه برئاسة الهيئة للتربح من خلاله يهمنا هنا أن نشير إلى أن الهيئة ومنذ بداية تأسيسها كانت تخضع للإشراف من قبل لجنة خاصة تم إسناد مهمة المتابعة المالية لها وكان يرأس تلك اللجنة الأستاذ " أحمد زندو " محافظ البنك المركزى السابق والذى رأس مجلس إدارتها بعد أن تركها مروان.. وبعد أن انسحب الشركاء العرب منها فى مايو عام 1979عقاباً للسادات ولمصرعلى زيارته السابقة للقدس.. وعلى مضيه منفرداً دون تراجع فى مباحثاته مع الحكومة الإسرائيلية تمهيداً لتوقيع اتفاقية سلام معهم.. كما كان مدير عام الهيئة سعودى الجنسية.. ومدير الشؤون المالية إماراتى.. ومع التسليم بأن كل هؤلاء كانوا يأتمرون لأوامر أشرف إلا أن الأمر كما يبدو لم يكن من السهل التلاعب فيه على المستوى الإدارى أو المالى..

* * *

على طائرة الرئيس..!!:

وبين صدور القرارين لم تتوقف حملات الهجوم والتشنيع التى قادها حزب العائدون من الكهف ضد أشرف.. بل رأوا فى إبعاده عن عمله الأول بالقرب من السادات تقليصاً لأهميته وفرصة لينهشوا فى سيرته كيفما شاؤوا.. فلم يترك هؤلاء أشرف مروان حتي بعد إقصائه عن العمل برئاسة الجمهورية.. ولا أثناء رئاسته للهيئة العربية للتصنيع .. حيث ظلوا يتعقبونه ويثيرون حوله الشائعات خاصة بعدما ثبت لهم أن المياه عادت بينهما إلى سابق عهدها برغم ابتعاده الرسمى عن السادات الذى تبين لـه أنه لن يستطيع الاستغناء عن خدماته.. وأنه عاد ليكلفه بمهام مع الملوك والرؤساء العرب والأجانب لا يستطيع غيره

إنجازها.. وكان يسافر معه من وقت لآخرعلى طائرة الرئاسة فى بعض سفرياته خاصةً إلى الولايات المتحدة.. وكان السادات يبرر ذلك لمن يسألونه بأن أشرف فى الطائرة بدعوة عائلية.. وهوبالطبع تبرير مضحك ويحمل فى طياته ملامح شخصية السادات الذى لم يكن ليخفى عليه بالطبع مايتردد حول أشرف من ادعاءات.. ولكنه كان يميل دائماً إلى جعل الآخرين فى حيرة من تفسير مواقفه وقراراته.. وإلا فما معنى تواجد شخص محط الكثير من الأقاويل والاتهامات فى مهمة رسمية.. وهو لايحمل أية صفة رسمية؟؟.. بدعوى العلاقة العائلية وهو لا تربطه برئيس الجمهورية أية علاقة عائلية.. وهذا الأمر له تفسير آخر سنرجع إليه عند الحديث عن حقيقة دور مروان الخاص الذى كان يلعبه بتخطيط خاص من السادات..

ومن جديد بدأت جلسات التخطيط والتحريض.. والضغط علي السادات بحجة تضخم ثروة مروان.. وكان رد السادات : أن أشرف استطاع بعلاقاته إبرام العديد من الاتفاقيات مع فرنسا وانجلترا بخصوص قطع الغيار المطلوبة للمصانع الحربية وتطوير تكنولوجيا التسليح .. كما أن الملوك والرؤساء العرب المساهمين في هيئة التصنيع العربية هم الذين اختاروه.. ويدفعون له مرتباً شهرياً يبلغ 30 ألف دولار.. ووضعوا تحت تصرفه طائرة خاصة..

حتى عبد الناصر لم يتركوه..!!:

ولكن الحملة لم تتوقف بل اشتعلت وبدأت سلسلة مقالات " علي أمين " عن " الطفل المعجزة " وعادت اندفاعات " جلال الحمامصي " [1] التي فاقت كل حد لدرجة اتهام عبدالناصر نفسه وهو الرجل الذى اقترض بضمان وظيفته مبلغ 4 آلاف جنيه ليبنى لابنته الصغرى المنزل الذى تزوجت فيه من الرجل الذى كان محلاً لكل هذه الاتهامات

1 - كتاب "جلال الدين الحمامصي" "القربة المقطوعة" و " حوار وراء الأسوار" ثم كتاب "تجربتي" لـــ "عثمان أحمد عثمان" فيما بعد.. وهي الكتابات التي استندوا إليها في حملاتهم علي "أشرف مروان"..

ومـات علـى سـرير كـان عهـدةً للأشـغال العسـكرية قبـل أن ينتهـى مـن سـداد كامـل قيمـة القرض.. إتهم الحمامصى عبد الناصر بالاستيلاء علي عشرة ملايين من الجنيهات .. وتحت ضغط الرأي العام واستنكاره الشديد أمر السادات المدعي الاشتراكي بتولي القضية والفصل فيها .. وقد ثبت كذب ما تردد مما جعل السادات يصدر بياناً يتهم فيه الحمامصى بالاندفاع غيرالعقلاني وراء دوافع وأوهام..

أشرف يتحدى موسى صبرى..!!:

وزادت اتهامات " موسي صبري " الذى يعترف في كتابه أنه خلال تلك الفترة جمعه لقاء غير مدبر مع الدكتور أشرف مروان الذي عاتبه وتحداه فيما ينشره عنه.. فسأله " موسي " إن كان مستعدا لمواجهة الاتهامات المنسوبة إليه .. قال مروان: إنه لا يطلب أكثر من ذلك.. فكلف موسى صبرى نائبه وقتها " إبراهيم سعدة " بإجراء مقابلة صريحة مع " مروان " لنشرها في " أخبار اليوم " وزوده بكل الحجج والإشاعات لإحراج مروان ومحاصرته.. ويعترف موسي في كتابه بذلك قائلاً : " وأجري إبراهيم سعدة الحديث.. وقرأت البروفة.. ولكنني منعت النشر .. واتصل بي رسول من " أشرف مروان " تليفونياً أكثر من مرة للتعجيل بنشر الحديث.. ولكنني اعتذرت عن عدم النشر.. ولم يقل لنا موسى صبرى لماذا امتنع عن النشر وقد كان الحوار باتفاق خاص معه وبتكليف شخصى منه لنائبه "سعدة ".. لكن نستطيع نحن أن نخمن لماذا؟.. فالأمر لا يحتمل سوى أن ردود مروان على ادعاءات موسى وحزبه التى ساقها لنائبه ليحاصر بها أشرف كانت جازمة.. وقاطعة.. ولأن موسى كان يأخذ موضوع أشرف مروان مأخذاً شخصياً فكان من الصعب عليه أن ينشر حيثيات تبرئة الشخص الذى كالّ له الاتهامات بلا سند ولا حقيقة اللهم إلا أحقاده الشخصية هو ومن وراءه.. باختصار كان موسى يجعل من نفسه خصماً وحكماً.. ولابد أن تأتى النتيجة فى مثل هذه المواقف ملطخةً بظلمٍ شديد..

السادات يعفى أشرف مروان من رئاسة الهيئة العربية للتصنيع..!!:

كان أهم ما يبحث عنه السادات فى هذا التوقيت الذى كانت معظم الدول العربية تناصبه فيه العداء بسبب زيارته الشهيرة لإسرائيل هو الإبقاء على حسن علاقته بالمملكة العربية السعودية.. وكان يعتقد بأن القيادة السعودية ترغب فى التعامل مع مصرمن خلال أشرف مروان تحديداً.. ولكن لقاءات رسمية تمت فيما بعد مع الراحل الأمير فهد [1].. أثبتت خطأ هذا الاعتقاد لدى السادات وأكدت أن القيادات السعودية تتعامل مع أشرف مروان فقط لأن الرئيس هوالذى اختاره.. وعندئذ تشجع السادات وتخلى عن عناده الذى كان من أهم سماته الشخصية الذى دفعه للتمسك بأشرف مروان أكبر فترة ممكنة.. بذل خلالها المحيطون به جهداً ووقتاً طويلاً فى محاولة إقناعه بإبعاد مروان.. لكنه لم يقتنع بالإبعاد الكامل لأشرف مروان إلا قبل أيام قليلة من تأليف وزارة مصطفى خليل.. حيث يقال أنه قد تجمع لديه أكثر من دليل ضد مروان [2] بينها تقاريرلبعض الجهات الأمنية عن قياس الرأى العام حيال ما يشاع عن أشرف مروان جاءت فى غير صالحه [3].. وقررالسادات تنفيذ الشق الثانى من قراره بتحجيم أشرف مروان وأعفاه من منصبه الجديد كرئيس للهيئة العربية للتصنيع ونقله إلى وزارة الخارجية.. حيث تم تعيينه بدرجة سفير فى الخارجية المصرية..

* * *

1 - قبل توليه المملكة..

2 - أولها: أن السعودية تتمسك بأشرف مروان رسولاً بين القاهرة والرياض.. والثانية: دوره فى صفقة بحرية مع الحكومة البريطانية وقد أسىء إلى المشير الجمسى فى موضوع هذه الصفقة.. وعلق السادات على ذلك بقوله: أشرف ضحك على الجمسى

3 - المصدر السابق

وانتهت الأسطورة..!!:

وهذه المرة لم يفوت «موسى صبرى» الفرصة واستغل القرار الذى انتظره طويلاً أبشع استغلال ونشره بشكل ضخم فى الصفحة الأولى فى برواز كبير من ثلاثة أعمدة وبالبنط الأسود الواضح تحت عنوان «وانتهت أسطورة أشرف مروان بقرار جمهورى».. ضارباً بذلك عرض الحائط بالتعليمات الرئاسية المصاحبة لإملاء الخبر للمؤسسات الصحفية التى كانت تنص على ضرورة نشر الخبر بشكل عادى.. مما دعى الكثيرين من المتابعين لحملة موسى صبرى السابقة على أشرف مروان والذين أثار انتباههم تحديداً شكل وإبراز جريدة الأخبار التى يرأسها موسى صبرى وصياغتها للخبر بشكل يختلف عن باقى الصحف التى صدرت فى نفس اليوم وهى تحمل أنباء الخبر بشكل آخر أقل حدة يتصورون أن وراء كل ذلك ضوءاً أخضر من الرئاسة ومن السادات شخصيا لموسى صبرى الذى كان فى هذا التوقيت من أقرب الصحفيين التصاقاً بالرئيس وملازمةً له والكاتب الأساسى لخطاباته..

عندما صرخت منى: «يعنى بنت عبدالناصر جوزها حرامى»..!!:

وعندما طالع السادات الخبر بهذه الصيغة غضب غضباً شديداً خاصةً أنه لم يكن فى حقيقة الأمر راضياً عن تلك الحملة ولا عن تشويه سمعة أشرف.. وانتقد النشر بهذا الشكل واعتبره تشهيراً متعمداً.. خاصةً بعد أن ذهبت منى عبدالناصر زوجة أشرف مروان إلى منزل السادات باكية وهى تردد.. «يعنى بنت عبدالناصر جوزها حرامى».. وفى نفس اليوم تمكن أصدقاء أشرف مروان من تدبير لقاء له مع السادات فى استراحة الرئاسة بالهرم قال فيه مروان: أن موسى صبرى يردد أن الرئيس السادات هو الذى طلب منه النشر بهذا الأسلوب.. وصور أشرف للسادات أن هذا النشر هو مؤامرة مقصودة للتشهير به لصالح قوى أخرى.. وكان مع أشرف مروان فى لقائه بالرئيس

أشخاص آخرون أيدوا أشرف فى كلامه.. فطلب السادات موسى صبرى تليفونياً وعنفه وأمره برفع الخبر من الطبعات التالية ووضع مكانه بياناً صادراً عن رئاسة الجمهورية جاء فيه أن الرئيس السادات قرر تعيين أشرف مروان سفيراً من الدرجة الممتازة بوزارة الخارجية كما كلفه بحمل رسائل إلى ثلاثة من الرؤساء العرب.. ونشر فى البيان أيضا أن أشرف مروان هو الذى قدم استقالته من الهيئة العربي للتصنيع التى ساهم فى أن يقدم لها خدمات جليلة [1]..

* * *

تكريم أ شرف..!!:

وحتى يقطع السادات خط الرجعة على كل من ينوى فتح ملف أشرف مروان قرر تكريمه تقديرا للخدمات التى أداها للدولة فى حرب أكتوبر.. وخص من تلك الخدمات: نجاحه فى الحصول على قطع غيار حربية من فرنسا فى وقت كانت فيه المصانع مغلقة

---

1 - يعلق موسى صبرى على هذا الأمر بقوله: طلبت الرئيس السادات تليفونيا.. لكى أرجوه تغيير صياغة البيان الثانى.. ولكن سكرتير الرئيس أبلغنى أنه يستحسن ألا أتحدث إلى الرئيس.. لأنه غاضب منى جداً.. وقد أخطر السكرتارية بأن كل ما بينه وبينى قد انتهى.. وهو لن يتحدث إلىّ أبدا.. ولن تكون هناك علاقة بيننا على الإطلاق.. وتألمت أشد الألم.. وقررت الاستقالة وعندما قرأت هذا البيان الثانى.. تألمت غاية الألم.. إن هذا البيان يلغى تماما البيان الأول. ويؤكد للناس الشائعات التى كانت منطلقة بأن الرئيس السادات لايستطيع عزل أشرف مروان لأنه يملك ضد الرئيس ما يجرح الرئيس لو أذاعه.. وأبلغت الرئيس السادات عن طريق شخص قريب إليه.. أننى لا أملك إلا كرامتى وأن ما كتبته عن أشرف مروان هو لصالح سمعة الرئيس وعائلته وللقضاء على الشائعات الكاذبة.. الخاصة بعلاقة أشرف مروان به.. وليست بينى وبين أشرف مروان عداوة خاصة.. بل كان هو الحريص دائما على كسب صداقتى.. ولكننى راعيت المصلحة العامة أولا وأخيرا.. ووسائل النفع من أشرف مروان عديدة.. وفعلا جمعت أوراقى من مكتبى.. وتوجهت إلى منزلى.. على الرغم من أن البيان الثانى قد عدل بعض الشىء.. بما يخفف من انحيازه لأشرف مروان.. فقد كان النص أن أشرف مروان قدم خدمات جليلة لهيئة التصنيع وحذفت هذه العبارة. ولكن الشخص الذى أبلغته بإصرارى على الاستقالة طلب منى أن أعود إلى مكتبى.. وفعلا عدت.. وإذا بالرئيس يطلبنى بالتليفون ويتحدث إلىّ.. وعبرت له عن وجهة نظرى واعتبر الموضوع منتهيا.

بسبب عطلة رسمية [1] ومنحه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.. فلم يكن السادات أبداً ليرضى بأن يكون إبعاد أشرف مروان فى شكل طرد لـه.. وقال السادات فى كلمته بمناسبة منح أشرف الوسام:

" إنى أمنحك هذا الوسام من الطبقة الأولى تقديراً لما قمت به نحو بلدك خاصةً فى أحلك الأوقات وأثناء معارك أكتوبر المجيدة.. ويجب أن يعلم الجميع أنه فى الوقت الذى كانت فيه القوات الجوية فى أمس الحاجة إلى قطع الغيارلتقوم بمهامها القتالية وكانت جميع المصانع فى أوربا مغلقةً فقمت أنت بمجهودك الشخصى بتوفير قطع الغيار اللازمة لها.. مما مكن القوات الحوية من تحقيق مهامها القتالية بالكفاءة المطلوبة"

* * *

وهنا انتهت علاقة أشرف مروان الرسمية بالرئيس السادات ولكن بقيت علاقتهما تدور فى إطار العلاقة الشخصية.. وكان يتردد على منزل الرئيس ويلقاه ليبلغه ببعض الأخبار العربية التى يسمعها.. وكان الرئيس على اتصال مستمر بزوجة أشرف مروان بحكم أنها ابنة صديق عمره وسلفه عبدالناصر.. وكان يعتبر مسئوليته عنها كأب أمراً منفصلاً تماماً عن ما سببه لـه زوجها من مشاكل خاصةً أنه يعتقد فى قرارة نفسه بأن أهلها قد ناصبوها العداء لعلاقة مروان به

* * *

أشرف يحتجز رجال الأمن فى مكتبه..!!:

وفى الفترة الأخيرة من حكم السادات وأثناء زيارته الشهيرة لإسرائيل.. دبرت المخابرات العامة وسيلة للإيقاع بأشرف مروان وضبط معاملاته.. وبعد استئذان النيابة أعدت العدة لوضع أجهزة تسمع فى مكتب مروان الضخم الذى كان يملكه بمصر

1 -.. بحسب حيثيات قرار التكريم ومنح الوسام..

الجديدة.. ولكن أحد المنوط بهم بتنفيذ العملية أبلغ أشرف مروان واستطاع أن يضبط هو الكمين المعد لـه وأن يصورهم أثناء تفتيشهم مكتبه.. واعتقل المكلفين بالعملية فى المكتب.. ورفض إطلاق سراحهم.. وهدد بأنه سوف يطلق عليهم جميعاً النار فى حالة محاولة اقتحام مكتبه بالقوة.. واتصلت الجهات المختصة بالرئيس السادات الذى طلبه تليفونياً على الفور وأمره بإطلاق سراحهم.. وامتثل مروان لأوامر السادات وأطلق سراحهم.. واستغل فيما بعد هذه الواقعة للتدليل على ما يحاك ضده من مؤامرات لإفساد العلاقة بينه وبين الرئيس السادات.

* * *

أشرف يودع عالم السياسة..!!:

والخلاصة: أن كثيراً من المحيطين بالرئيس السادات كانوا يعملون فعلاً على إقصاء أشرف مروان تماماً عن طريق السادات.. وقد يكون ذلك بدافع الغيرة.. أومحاولة التقرب للرئيس على جثة واحد من أقرب المقربين لشخصه.. وفى كل الأحوال كانت النتيجة واحدة.. حيث تم إقصاء مروان تماماً.. ليبدأ الفصل الثانى من حدوتة الطفل المعجزة.. ورحلته مع عالم المال والأعمال.. وربما كان ذلك لمصلحته الشخصية حيث تفرغ بعدها لعالمه التجارى ليتحول من رجل ذو طموح سياسى ومجرد موظف حكومى.. إلى ملياردير[1].. وواحد من أغنى أغنياء الشرق الأوسط و العالم.. وهنا يبدو واضحاً.. بل ومنطقياً أن مساحة العلاقات التي أتاحتها المناصب الرسمية التي شغلها أشرف مروان في عهد الرئيس السادات ومن قبله مع عبد الناصر [2].. كانت هي المصدر

---

1 - ذكر عثمان أحمد عثمان لموسى صبرى فى حديث خاص أجراه معه عام «1980» قبل وفاة السادات بستة واحدة أن رجال المال يقدرون ثروة أشرف مروان وقتها بأكثر من 300 مليون جنيه..

2 - المحقق الصحفي البريطاني "سيمون ريجان" يقول فى أحد كتبه الصادرة في بريطانيا أن " الشاب مروان" تمكن بشكل سريع من إقناع عبد الناصر بشخصيته.. وزواجه من كريمته "مني" ليصبح قبل أن يكمل شهر العسل في منصب مرموق في الدولة " يطوف العالم من أجل مصالح الدولة المصرية تحت

الأساسى لسطوع نجمه فى عالم المال والأعمال.. وودّع أشرف مروان عالم السياسة من بوابة أنور السادات.. بعد أن دخلها من بوابة عبد الناصر.. ليدخل عالم المال بالطموح نفسه.. منضماً الى قائمة ضمت العديد من أصحاب الأسماء العربية الذائعة في ذلك الوقت التي اتخذت من لندن مقراً ومقاماً.. واستوطن معهم تلك مدينة الضباب التى تعتبر كعبة رجال المال والاقتصاد فى العالم.. ولم يعد يذهب إلى مصر إلا في زيارات نادرة..

حكم ناصر".. وبناء علي ذلك كسب أيضاً ثقة حكام الدول الأخري الذين كان يوفد إليهم.. ويستمعون له.. ويطلعونه علي أدق التفاصيل باعتباره رجل ناصر المخلص. بل يفعلون كل ما يقوله مروان لهم.. خاصة في الكويت والسعودية. وبحسب رواية الكاتب فإن مروان تمكن خلال الفترة الأخيرة من حياة ناصر.. بشكل جزئي في البداية.. من "تحويش أموال" في بنوك أوربية.

الفصل الثانى:
أشرف مروان..
البيزنس مان وصراعاته الخاصة..

تحدثنا عن مشوار صعود أشرف مروان السياسى منذ زواجه من منى عبدالناصر.. وعشرات الألغاز والأسئلة التى أحاطت به من بداية مشواره الوظيفى.. حتى نهايته.. والمهام السرية التى كلف للقيام بها.. والآن نتحدث عن صداقاته وصراعاته فى عالم المال والبيزنس وتجارة السلاح التى كانت تتسم بالكثير من الغموض.. وحتى أصبح واحداً من أكبر المليارديرات بمنطقة الشرق الأوسط.. فى محاولة لفك شفرة حياة الرجل الخاصة..

* * *

أشرف يقتحم عالم المال والأعمال..!!:

منذ بداية الثمانينيات وبعد أن ترك عمله فى السلك الدبلوماسى سافر أشرف مروان إلى لندن تاركاً زوجته "مني" وأبناءه أحمد وجمال في باريس.. وفى العاصمة البريطانية تحولت حياته إلى دوامة من العمل المستمر والتنقل الدائم بين مختلف بلدان العالم لهثاً وراء صفقاته التجارية التى لم يكن ينتهى من واحدة إلا ليبدأ فى أخرى.. فى بداياته الأولى عمل كـ " سمسار " متخذاً من العاصمة البريطانية مركزاً خاصاً لأعماله التجارية التى أخذت تتسع بشكل كبير للغاية فى مجالات مختلفة مثل.. بورصات المال العالمية.. وسوق العقارات.. والفنادق.. وبعض مصانع السلاح.. [1] الذى بدأ اسمه يرتبط بالتجارة فيه علي نطاق دولي واسع ومع شركات كبري عاملة فى هذا المجال مثل «تريدزويند» و«أوكتاجون» و«كابرا» وبدأت تتسع قائمة ممتلكاته لتشمل فى النهاية العديد من الشركات مختلفة النشاط ما بين استثمار سياحى وعقارى.. وأوراق مالية وغيرها.. كما

---

1 - يقال: أنه كان يتاجر فى السلاح بشراكة ثلاثية مع الفنان إيهاب نافع وزوجته ألمانية الجنسية أرملة رأفت الهجان.. ومن القصص التى تروى عن أشرف مروان هو إشرافه وتمويله لصفقة تاجر السلاح والملياردير السعودي عدنان خاشقجي لإمداد إيران بأسلحة إسرائيلية أيام الحرب مع العراق.. كما شارك مع صديقه عدنان خاشقجى في إمداد ثوار الكونترا في نيكاراجوا بالأسلحة بالتعاون مع C.I.A (وكالة الإستخبارات الأمريكية)

اشترى نادى «البلاي بوي» الشهير فى لندن.. وكذلك ناديا «شيلسي» و«فولهام» لكرة القدم الذى اشتراه فيما بعد محمد الفايد.. علاوة علي امتلاكه لمناطق واسعة في «الوست إند» بينها مسرح.. وقطاع كبير من متاجر " ماى فير "

لصالح آخرين..!!:

ويقال أن كل ذلك فى البداية لم يكن لصالحه مباشرةً.. إنما كان لصالح أطراف عربية وعالمية متعددة في منطقة الشرق الأوسط وغيرها [1].. وتخلل ذلك الدخول في صراعات لا رحمة فيها مع شخصيات ذات علاقات سياسية واقتصادية وأمنية ومصالح دولية ومحلية متشابكة.. وكانت كل تلك المعاملات تتسم بالغموض.. يمارسها مروان وهويحمل علي كاهله الذى أصبح متعباً ومريضاً بمرورالوقت العشرات والعشرات من الأسرار والملفات الغامضة التى لم يبح بها لأي شخص مهما كانت مكانته لديه.. حتى أنه فى النهاية لا أحد يعرف على وجه التحديد ما هى حدود تعاملاته المالية ولا حجم ثروته.. وأغلب الظن حسب ما أعلن من تقديرات مبدئية بعد وفاته مباشرةً أنها تتجاوز المليارات.. فقد كان مبدأه فى الحياة " ألا يعرف أسرار أشرف مروان غير أشرف مروان نفسه ".. ولا يري فيما يجرى حوله من أحداث غير طموحاته وقفزاته الواسعة في عالم السلطة والسياسة والمخابرات.. حتى أنه.. بعد عشرة سنوات فقط كان أحد أهم أعضاء نادى "الملتي مليونرات" فى العالم وقدرت فيما بعد مجلة " فوربس " العالمية ثروته بـ 800 مليون دولار.. ويملك شقة فاخرة فى 50 شارع فوشيه بباريس وهو أغلى شارع فى العالم.. ويتنقل بين جميع أنحاء العالم بطائرته الفالكون الخاصة.. وتسعى مختلف الحكومات لتكريمه والاحتفاء به[2].. ومنحه جنسيتها.. وهو الرجل الذى كانت

---

1 - أشخاص مثل «تيني رولاند» و«عدنان خاشقجي» وآل مكتوم وغيرهم.

2 - فعلت ذلك حكومة كندا منذ خمسة أعوام عندما كرمته بعد أن أنشأ هناك إحدى مشروعاته السكنية المتميزة بجوار مطار " ميرابل " المطار الثانى للدولة هناك.. ومنحته جنستها.

ثروته " تبلغ340 ألف جنيه إسترلينى فقط عندما هبطت قدماه أرض لندن للمرة الأولى بحسب ما يؤكده الكاتب البريطانى "سيمون ريجان" فى كتابه " من قتل ديانا؟ ".. كما يؤكد نفس المؤلف أيضاً أن أشرف مروان لم يكن بعيداً تماماً عن عالم السياسة.. فقد كان كثيراً ما يستخدم علاقاته السياسية للتخديم على صفقاته فى عالم المال مثل هذه القصة:

أشرف يطلب من مبارك إلغاء معاهدة كامب ديفيد!!:

بعد أن استقر المقام بأشرف فى لندن فوجئ بطلب خاص من حاكم عربى شهير مازال فى موقعه الرئاسى بدولته حتى الآن يطلب منه كشرط للموافقة على منحه بعض الامتيازات للتنقيب من خلال إحدى الشركات البلجيكية عن البترول فى بلاده أن يقنع الرئيس مبارك بإلغاء اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل.. حدث هذا عام 1985.. وسافر أشرف من لندن إلي القاهرة بصحبة صديقه وشريكه فى تجارة السلاح المبعوث الخاص لهذا الحاكم العربي علي طائرة المبعوث الخاصة للالتقاء بالرئيس المصري حسني مبارك في محاولة لإقناعه بذلك.. وهو ما لم يحدث بالطبع..

* * *

الرجل المجهول..!!:

وفى السنوات الأولى من إقامة مروان بلندن.. فوجئ مجتمع المال فى العاصمة البريطانية.. برجل كان وقتها بالنسبة لهم مجهولاً.. يقتحم عالمهم الخاص.. ويفرض نفسه عليهم بقوة شديدة.. وتمكن هذا الرجل بطريقة ما أن يستغل تحول منطقة تسمي " سكيلي واج " وهى منطقة تاريخية تقع شمال لندن من مجرد منطقة كانت تستخدم قديماً كتجمع اسطبلات الخيل التى تقود عربات نقل البضائع بطول قناة ريجنت.. إلي معرض مفتوح لأعمال الفنانين والنحاتين.. بقرارمن بلدية المدينة.. وحولها إلى منطقة سياحية

متميزة بالشكل الذى ساهم في جذب عدد كبير من السياح إليها.. واشترى أراضى ومبان ومخازن قديمة للسكك الحديدية بالمنطقة وأزالها.. وشيد مكانها أبراجاً وعمارات حديثة وحقق الرجل المجهول من وراء ذلك أرباحاً خيالية.. أثارت حفيظة وغيرة رجال المال والأعمال هناك بعد أن استأثر بالكعكة بمفرده.. ولم يكن ذلك الرجل سوى أشرف مروان..

ووقتها لم يكن أحد فى لندن يعرف الكثيرعن أشرف مروان.. وعندما بدأ رجال الأعمال يتساءلون من يكون هذا الشخص المجهول.. ويفتشون وراءه؟.. اكتشفوا أن المشروع تم تنفيذه باسم شركة تسمي " كوبرا ".. وتأكدوا أن هذا الرجل قام بالمشروع لحساب آخرين.. فبدؤوا يبحثون لصالح من يعمل.. وجندوا لذلك شخصاً مصرياً يسمى علي أمين [1].. يملك مقهي صغير اسمه «تشيكرسي» [2] يقع فى تلك المنطقة وتحديداً أمام اسطبلات الخيل القديمة.. الرجل كان بطلاً سابقاً للشطرنج في مصر واشتهرالمقهي بروداه الذين كانوا جميعهم من هواة لعبة الشطرنج.. كما كان الرجل يعمل من قبل في قسم الشؤون المصرية بهيئة الإذاعة البريطانية.. وهو ما ساعده فى تكوين شبكة اتصالات قوية بجهات مختلفة في لندن مكنته من مطالعة ملف أشرف مروان المحفوظ في السفارة المصرية هناك.. فاستطاعوا بذلك رسم صورة واضحة عن عدوهم المجهول والذى هبط على عالمهم الخاص من حيث لا يشعرون.. وبدؤوا يتعاملون معه من هذا المنطلق مما أورث الرجل الذى يبدو أن قدره كان الصدام الدائم مع الآخرين عداوات جديدة.. وكانت أهم الصداقات التى مكنت أشرف من اقتحام عالم المال والأعمال فى عاصمة الضباب بقوة هى علاقته مع الملياردير البريطانى المشهور " تاينى رولاند " الذى كان يمتلك صحيفة " الأوبزرفر" قبل أن يبيعها إلى " الجارديان ".. وكان " رولاند "

---

1 - غير على أمين الكاتب الصحفى بالطبع

2 - تعنى بالعربية كش ملك

وعائلته فى ذلك الحين يملكون إمبراطورية مالية ضخمة عاملة فى بريطانيا والعديد من دول العالم.. وكانوا يسيطرون على قطاع كبير من الاقتصاد البريطانى..

بداية العلاقة..!!:

وكانت العلاقة بين أشرف مروان و رولاند قد بدأت عام 1979 عندما اشتري أشرف مروان 40 في المائة من أسهم شركة "تريدز ويند" التى ينصب عملها الأساسى فى تجارة السلاح وكان " رولاند " يملك باقي أسهمها باسم شركة عائلته [1]. وكان مروان مديراً لها فى ذلك الوقت.. وكان هذا هو أول بيزنس رسمى بينهما.. وقد حقق مروان هو وأحد مدراء الشركة الآخرين ويسمى " دام " [2] أرباحاً خيالية وسريعة من وراء ذلك.. لكنهما دخلا فى صدام مع الحكومة الأمريكية بعد اتهامهما برشوة اثنين من عملاء المخابرات المركزية تم تقديمهما فيما بعد للمحاكمة.. وبسبب تلك القضية [3] تم وضع اسم كل من مروان ودام علي قوائم المطلوبين في الولايات المتحدة.. لكن علي ما يبدو نجح أشرف مروان في إنهاء تلك المشكلة فيما بعد حيث ثبت تردده وسفره لأكثر من مرة بعدها إلى الولايات المتحدة.. وكشفت اعترافات عميلي المخابرات المركزية المتورطين في القضية أن شركة " تريد وينج " التي كانت تبدو في الظاهر كشركة طيران تجارية ما هى إلا ستار فقط.. بينما كان نشاطها الرئيسى هو تمويل منظمات معينة [4]..

---

1 -.. شركة لونروهو رولاند

2 -.. هكذا فى الأصل الإنجليزى والمرجح أن المقصود به هو أحمد قذاف (الدم) ابن عم الرئيس الليبى والذى كان يرتبط بعلاقة خاصة جداً مع أشرف مروان وتشاركا معاً بحسب بعض المصادر فى تجارة السلاح على المستوى الدولى..

3 -.. وهما " أدي ويلسون ".. و" فرانك تربل" والصفقة المقصودة هى صفقة اليمامة الشهيرة بين السعودية وبريطانيا التى سيلى تفاصيلها فى حينه.

4 -.. تردد ذكر مجموعة أبو نضال الفلسطينية من ضمن تلك المنظمات.. حيث استغل دام ما تحت يده من أرباح في تحريك الشبكات السرية المؤمنة بالعنف بما في ذلك تسهيل وصول المتفجرات البلاستيكية لمجموعة أبو نضال..

واستغل مروان صداقته بالحكومة الليبية واستثمر(12) مليون دولار من أموالها في شركة عائلة رولاند.. تحديداً في مجال الاستثمار الفندقى.. كما استغل علاقته بها من قبل فى عرض حق استغلال النفط الليبى لصالح شركة أوربية مقرها لوكسمبورج مقابل 2 مليار دولار.. وفي الوقت نفسه استغل الليبيون شركة تسمي " لافيكو أويل " في استثمار بعض عوائدها المالية في مجموعة " رولاند " في لندن التي كانت من جانبها تستثمر أموالها في بيع وشراء العقارات في ليبيا التي كانت تعاني وقتها من الحصار الاقتصادى بسبب قضية لوكربي الشهيرة.. وكانت هذه إحدى وسائلها لتبادل واستغلال الأموال والتحايل على كسر طوق الحصار الإقتصادى حولها..

ووجد المحققون أن نصيب شركة "لونرهو" الداخلة في الحسابات السرية لشركة " تريد وينج " كان مختفياً في شركة ثالثة اسمها " إيمري " [1] والتى كانت بدورها جزءاً من شركة مروان القابضة.. ويشيرهذا الكشف لأهمية الدور الذى لعبه مروان ضد حكومة موزمبيق التي كانت تدعمها إسرائيل وذلك بمساعدة جماعة " فريملو " المسلحة للعمل على إسقاط الحكومة هناك.. وذلك بوازع من الرئيس الليبى معمر القذافى الذى كان يرى أن إسرائيل تدعمها للقيام بأعمال إرهابية ضده.. أى أن أشرف مروان باعتراف المخابرات الأمريكية نفسها كان يعمل ضد إسرائيل وليس لصالحها.. وهو ما سنعود إليه لاحقاً عند قراءتنا لملف عمالته للموساد..

أشرف.. والفايد..!!:

وعندما نزح مروان إلى لندن كانت المعارك بين الفايد ورولاند على أشدها.. وبحكم العلاقات القديمة بين مروان و الملياردير البريطانى وجد مروان نفسه داخل حلبة الصراع بين الاثنين فاختار أن يقف بجانب صديقه البريطانى.. حتى وإن كان ضد ابن

---

1 -.. ربما كان المقصود بالاسم كلمة " عمرى " التى أشير إليها بهذا الاسم فى بعض المصادر الأخرى والمقصود بها نفس الشركة.

بلده ومواطنه المصرى.. وشيئاً.. فشيئاً.. زادت حدة تلك الصراعات.. ودخل الصراع بين الاثنين منعطفات كثيرة ومختلفة.. كانت جميعها تنبع دائماً من تعارض مصالحهما المالية بطريق مباشر أوغيرمباشر.. ونبدأ قصة صراعهما معاً من آخر محطاتها.. بعد وفاة مروان..

الفايد يتهم أشرف بالعمالة للموساد!!:

أرسلت "كاثرين ويتى" مديرة شئون الصحافة والعلاقات العامة فى مكتب محمد الفايد خطاباً للرد على تقرير تم نشره فى صحيفة التيمس البريطانية حول موت أشرف مروان.. قالت ويتى فى الخطاب الذى خاطبت فيه السيد روبرت تومسون محرر جريدة التيمس:

«فى مقالكم المنشور يوم (28) يونيو حول الموت غير واضح الأسباب لأشرف مروان المليونير المصرى الذى تجسس لصالح الموساد [1] والذى عثرعليه ميتاً.. وصفتموه بأنه كان «رفيق مقرب» من محمد الفايد.. وهذا ليس حقيقياً فالسيد محمد الفايد لم يكن لـه على الإطلاق أى علاقة بيزنس أو تعامل شخصى من أى نوع مع السيد مروان لاسيما فى ضوء علاقة أشرف مروان الوثيقة مع الرئيس جمال عبدالناصر.. إن الربط بين أشرف مروان بسمعته المشبوهة هو أمر مؤذٍ للسيد الفايد وغير مقبول ونكون شاكرين إذا مانشرتم تصحيحاً لذلك»..

* * *

والأكيد أن هذه اللغة العنيفة التى استخدمتها مديرة شؤون الصحافة والعلاقات العامة إنما تعبرعن موقف محمد الفايد نفسه من أشرف مروان الذى كان يعتبره بالنسبة

---

1 - حسب نص الخطاب الذى ترجمته رشا زهران والمنشور فى مقال عادل حمودة بجريدة الفجر بعدد2007/7/23.

لـه غريماً وعدواً لدوداً.. فالمعروف أن الفايد الذى غادر مصر بعد تأميم ثروته فى عهد الرئيس عبدالناصر كان ينظر إلى مروان من علياء باعتباره ينتمى إلى عبدالناصر غريمه الشخصى والرجل الذى كان يرى فيه عدوه الأول والذى قضى بجرة قلم على ماحققه طوال سنوات شبابه الأولى فى مصر من ثروة وكاد أن يتسبب فى تشريده هو وعائلته بالكامل.. وجاء زوج ابنته وراءه إلى منفاه الاختيارى فى لندن ليواصل مسيرة صهره الراحل ويخوض ضده حروباً أخرى.. فحرص تماماً على أن ينفى كل علاقة لـه من قريب أو بعيد بأشرف مروان.. كما صرح الفايد بكل وضوح من خلال صيغة الخطاب الذى أملاه على مديرة مكتبه والتى أرسلته بدورها لمحرر صحيفة التايمس لعلاقة أشرف مروان بالموساد.. وهو تصريح غير مبرراللهم إذا كان الفايد يملك من المعلومات فى هذا الاتجاه ما لايملكه غيره.. أو أنه من فرط كراهيته لمروان يردد بجهل شديد ما يقولـه الآخرون..

السبب رولاند..!!:

أما السبب الحقيقى فى كل هذا الكم من العداء فهو بحسب ما أكدته تحقيقات بريطانية رسمية هو صراع " الفايد " مع " رولاند " لشراء شركة " هاوس أوف فريزر" المالكة لمحلات " هاردوز " التى تحتل أهمية خاصة فى السوق المالى فى بريطانيا تحديداً وأوربا عامةً.. وتعتبر أحد أهم معالم العاصمة البريطانية.. والمعروف أن الملكة اليزابيث وباقى أفراد العائلة المالكة يشترون لوازمهم وملابسهم من هناك.. وذلك فى صفقة بلغت قيمتها مئات الملايين من الدولارات.. وثبت أن رولاند كان يتحرك فى هذه الصفقة من خلال مروان الذى كان واجهةً لـه لأسباب مجهولة.. وساهم أشرف مروان بدور كبير ومؤثر في الحرب الدائرة بين " الفايد " و" رولاند "علي تلك الصفقة.. وأشعلت بين أطرافها حرباً ضارية خلفت وراءها دماراً كبيراً للجميع.. حتى أصبح كل من الفايد ورولاند لاهم لهما سوي تدبير المصائب لبعضهما البعض.. وتدخل مروان

لصالح صديقه البريطانى.. وسانده وخاض معه حرباً شرسة ضد الفايد بكل قوته لإفساد الصفقة على الفايد.. وأيده فى تصريحاته التى كان يدعى فيها رولاند أن الفايد لايعمل بماله ولايشترى هارودز بفلوسه.. وإنما بالنيابة عن سلطان بروناى وعدد من تجار السلاح.. فى موقف يقال أن مروان كانت لـه حساباته الخاصة فيه مع بريطانيا الدولة التى يتحرك على أرضها كيفما شاء.. وكان عليه أن يساندها فى موقفها الذى اتخذته ضد شراء «الفايد» لهارودز.. وهوعلى كل الأحوال ما باء بالفشل فيما بعد حيث تمكن الفايد من الاستحواذ على الصفقة بعد أن حسمت ملياراته التى قدمها ثمناً لتلك المحلات العريقة الموقف لصالحه.. ولأن حسرته على ضياع الصفقة التى كان قاب قوسين أو أدنى منها كانت حسرة مريرة فقد لجأ رولاند إلي مروان واستعمل شركة تابعة للأخير تسمي " أكتوجين " ليعين فيها عملاءً سريين تابعين لـه برئاسة قائد شرطة إنجليزى يدعى " ديفيد كولين " لترسم وتخطط وتنفذ المؤامرات ضد الفايد.. وهكذا.. وبدايةً من ذلك التوقيت.. ارتبط كل من أشرف مروان ومحمد الفايد بسيناريو واحد بعد أن بدأ تضارب مصالحهما المالية بقوة.. حتى وإن كان بطريق غير مباشر.. وبدأت الحرب المعلنة وغير المعلنة تحتمل بينهما أى شئ.. وكل شئ.. وأصبحت جميع الأوساط المالية فى العالم أجمع تنظر إليهما وتتعامل معهما باعتبارهما عدوين لدودين لا يتفقان إلا فى الجنسية المصرية التى يحملانها والتى بدلاً من أن توحد مصالحهما وتجمع بينهما.. ضاعت من حساباتهما فى خضم الصراع الذى امتد بينهما بلا نهاية..

* * *

سلطان بروناى..!!:

ومن أشهر الكتب التى تعرضت لصراعات الطرفين الكتاب الذى وضعه الكاتب البريطانى الشهير " سيمون ريجان " وهو من كبار الصحفيين العالميين المتخصصين فى

متابعة قضايا وملفات المافيا وتجارة السلاح والاغتيالات السياسية وتوفى فى ظروف غامضة بعد الانتهاء من كتابه "من قتل ديانا؟ ".. الذى أشرنا لـه من قبل حيث خصص " ريجان" أحد فصول الكتاب للحديث عن أشرف مروان وقال في كتابه:.. إن الصراع بين الإثنين استخدمت فيه أطراف عربية وأجنبية وحيكت فيه الكثير من المؤامرات والاتهامات بمحاولات اغتيال واستخدام قضايا وأسرار ووثائق ضد بعضهما البعض.. وكان التنافس يدور بالأساس علي محلات " هاردوز " الشهيرة في بريطانيا.. لكن المنافسة الأخطر كانت علي أسبقية إقامة علاقات وثيقة بسلطان بروناي الذي يعتبر أغني شخصية في العالم.. مما يتيح لأي منهما التوسع في مجال البزنس الخاص به.. والمنافسة الأخيرة دخلت فيها أطراف عربية وأجنبية شهيرة بسطوتها وقدرتها علي صنع المعجزات.. منها حاكم لإحدي إمارات الخليج العربي.. ومبعوث لحاكم آخر في دولة بشمال أفريقيا..

* * *

الفايد ينفى.. ولسان حاله يؤكد!!:

ويعلق محمد الفايد [1] على ذلك بقوله أنه لا يوجد بينه وبين أشرف مروان صراع شخصى.. لكنه هو الذى انضم إلى رولاند فى مسألة الصراع على هارودز.. واتهمه بأنه أخذ من «رولاند» مبالغ مالية [2] لكى يجمع لـه معلومات عنه من مصر ويسىء بها إلى سمعته.. وعلى حد تعبير محمد الفايد أن أشرف مروان حاول بعدها أن يتقرب منه وأن يعتذر لـه.. لكنه لم يتقبل ذلك منه [3]..

---

1 -.. بحسب الحوار الذى أجراه معه عبد الله كمال رئيس تحرير روز اليوسف فى مكتبه بلندن بعد وفاة مروان بعدة أيام..

2 -.. حددها فى نفس الحوار بأربعة أو خمسة ملايين جنيه..

3 -.. يصف عبد الله كمال رئيس تحرير روز اليوسف الفايد وبعد أن انتهى اللقاء معه بأن الفايد يحمل « غِلاً » كبيراً تجاه أشرف مروان..

و يرد بحملات دعائية موجهة ضد أشرف..!!:

بعدها قام الفايد بتجهيز وترتيب ملفات ضد مروان ورولاند وغيرهما من خصومه ووزعها علي الشرطة والجرائد.. وكانت الملفات تضم مستندات يصل عدد كلماتها إلي 30 الف كلمة.. وخلال العشر سنوات الماضية كانت هناك مواد منشورة عن مروان وشركائه من وقت لآخر.. ورغم ذلك فإن أجهزة الإعلام لم تهاجم مروان بالشكل الذى يتناسب والمعلومات التى قدمها لهم الفايد.. ولا فكرت واحدة من تلك الجهات في محاسبته أو منعه من البقاء.. وهو أمرغريب جداً خاصة مع ما يعرف عن الحكومة الإنجليزية من تشدد غير عادى مع المقيمين بها من جنسيات مختلفة [1].. لكن المؤكد أنه كانت لـه علاقات تحميه مع جهات مؤثرة ونافذة.. ليس في بريطانيا فقط وإنما في مصر ودول أخرى.. ومساعدة شخصاً مثله كان مثيراً للجدل على أن يعيش أكثر من عشرين عاماً فى بلد مثل بريطانيا يفعل مايشاء دون أن يجد شخصاً يعترضه أو يمنعه من البقاء..

* * *

محاولات للصلح..!!:

وقد حاولت أطراف عديدة التدخل بين مروان والفايد لإنهاء الصراع وتهدئة النفوس بينهما ومن هؤلاء السفير المصرى فى لندن جهاد ماضى.. الذى قام ذات مرة بدعوة الإثنين إلى عشاء فى مقر سكنه ضمن أعداد أخرى من الشخصيات العامة.. ثم اتصل بكليهما لكى يعرف ملاحظات كل منهما حتى يراعى ذلك فى ترتيبات العشاء.. وقال أشرف من جانبه أنه لا توجد مشكلة.. بينما لم يذهب محمد الفايد بعد قبوله للدعوة..

كما حاول ذلك أيضاً على الفايد شقيق محمد الفايد.. الذى تصادف لقائه بأشرف

---

1 -.. مثل قضية ممدوح حمزة المهندس الإستشارى المصرى الشهير الذى ألقى اسكوتلانديارد القبض عليه لمجرد توافر معلومات غير مؤكدة عن نيته التخطيط لارتكاب جرائم قتل على أرضها..

مروان فى صالون الحلاقة الذى كان يذهب إليه الاثنان.. واتفقا على تصفية الأمور.. ولم تنجح المحاولة.. واستمر الصراع بينهما.. ليس باعتبارهما رجال أعمال وأصحاب ثروات فقط.. بل كان أحياناً يتجاوزذلك لمجالات أخرى مثل التنافس فى التبرع للأنشطة العامة التى تخص الجالية المصرية هناك.. فعندما تبرع أشرف مروان بمائة ألف جنيه استرلينى لشراء المبنى الذى بدأت فيه الجالية نشاطها.. وهو مايساوى ربع قيمة العقار وقتها.. قيل أن الفايد رفض التبرع هو الآخرلأن أشرف مروان سبقه فى ذلك.. واشترط موافقته على التبرع بأن تعيد الجالية لأشرف المبلغ الذى تبرع به بالكامل.. ووعد فى حالة تنفيذ ذلك بأن يقوم هو فوراً بدفع إجمالى الثمن المطلوب للشراء.. وقوبل وقتها هذا الطلب بالرفض من القائمين على شؤون الجالية هناك مما جعل الفايد خارج قائمة مؤسسى الجالية.. وبعد وفاة أشرف مروان لم يحضر الفايد العزاء الذى أقامته الجالية اليوم السابق على نقل الجثمان إلى مصر وحضره قرابة 500 شخص من أبناء الجاليات المصرية والعربية هناك.. ولا العزاء الذى أقامته السفارة المصرية اليوم السابق على ذلك.. وأوفدت إليه الدولة خصيصاً وزير الاستثمار محمود محيى الدين لقبول العزاء هناك..

* * *

هل كان أ شرف وراء مصرع ديانا ودودى؟؟..!!:

وقبل أن نغلق هذا الملف من المهم أن نشير لقضية شهيرة ربطت بين الاثنين وهزت أرجاء العالم قاطبةً.. وتردد اسم أشرف مروان فيها.. وهى قضية مصرع ديانا ودودى الفايد[1].. وأغلب الظن أن بداية التعارف بين الاثنين كان فى إحدى زيارت

1 - كان دودي يخاف علي حياته بشكل لافت للنظر و يبرر تخوفه للمقربين منه بقولـه: « إن أباه متورط في أشياء خطيرة ويخشي أن يدفع حياته ثمناً لها».. لدرجة أنه لو ابتعد نظره ثانية واحدة عن المشروبات التي علي المائدة كان يلقي بها ويأتي بغيرها خوفا من دس السم لـه فيها.. وتكرر ذلك وهو يخرج فيلما سينمائيا في هوليوود بعنوان « عربات النار »

الأميرة لمحلات " هاردوز " التى كما أشرنا من قبل كان أفراد الأسرة المالكة يشترون منها احتياجاتهم.. وعندما بدأت علاقة دودى بديانا لم يوافق السياسيون التقليديون في بريطانيا علي تلك العلاقة.. لكنهم لم يكونوا طرفاً أساسياً في قتلهما.. فلو كانوا يريدون التخلص من ديانا لفعلوا ذلك مبكراً قبل أن تشوه سمعة بلادهم وتهدد مصالحها.. وكان من مصلحة هؤلاء أن يغمضوا أعينهم ويدعوا العمي والصمم والجهل بما تفعله ديانا مع دودي.. إلا أنهم لم يترددوا في إثارة ضجة هائلة حول حادث مصرعهما حتي يبعدوا الشبهات عن سكوتهم.. وأعلنوا أن الحادث مؤامرة مدبرة ضد الأميرة والشاب العربي الأصل وحيد أبيه [1].. لكن تبقى الحقيقة التى أجمع عليها كثيرون وهى أن خصوم الفايد بمبدأ الشر من أجل الشرعرفوا كيف يدبرون ويمولون أجهزة عالمية عالية الذكاء لكي تنفذ جريمة اغتيال كتلك يصعب كشفها وحل لغزها.. وليس هناك شك أن هؤلاء كانوا يتمنون قتل الفايد نفسه.. لكن لم يجدوا أمامهم سوي قتل ابنه الكبير.. على الأقل ليشعروا بالسعادة لشعور الفايد بالوجع الشديد علي ابنه.. أما عن ديانا فلم تكن لتهمهم من قريب أو بعيد.. وتردد اسم أشرف مروان فى هذه القضية كما ذكر ذلك فى كتاب " حرب يوم الغفران " الصادر عن دار نشر يديعوت أحرونوت الإسرائيلية والذى حاول التأكيد على أن أشرف مروان كان عميلاً إسرائيلياً خالصاً.. ولم يكن يعمل لصالح المخابرات المصرية كعميل مزدوج.. وحاول مؤلف الكتاب إلصاق تهمة قتل دودى وديانا لمروان باعتباره أحد أعداء محمد الفايد الذين لهم مصالح خاصة فى عدم تصعيد نجم ابنه الذى كان على وشك الزواج من الأميرة التى امتلكت القلوب فى انجلترا.. وأم ولى العهد الذى سيحكم المملكة إن آجلاً أو عاجلاً.. أى أن محمد الفايد من الممكن أن يصبح بين عشية

1 - يقال أنه أخذه معه إلي لندن وهو في سن السابعة عشرة.. وصمم لـه دمية تشبهه تماما.. وتركه في عهدة حارس خاص.. لكنه.. وقت أن عرف ديانا أصبح الحارس حارسين.. وكانا يذهبان معه إلي الملاهي الراقية في لندن مثل " سي ترامبس " و" أيفي " في منطقة ووتر هول.. حيث كانت مائدته علي حمام السباحة لستة أشخاص.. وعندما بدأت الحرب بين الفايد وتيني رولاند علي شركة هاوس أوف فريز التي تملك متاجر هارودز.. تضاعف عدد حراس دودي ليصبحوا أربعة وأحيانا وصلوا إلي ستة.

وضحاها جداً لشقيق ولى العهد.. وما سيمنحه هذا الوضع لـه من مكانـة اجتماعيـة وثقلاً اقتصـادياً غير مسبوق.. فتردد اسم مروان على هذا النحو باعتبـاره الوحيد من قائمـة أعداء الفايد ممن لـه صلة وثيقة ومباشرة بأجهزة المخابرات التى نفذت تلك العملية..

* * *

أبناؤه يرثون قدره..!!:

وتعددت قائمة أعداء أشرف مروان كنتيجة طبيعية لتزايد نشاطه المالى والتجارى وعندما حاول أن ينقل جزءاً من نشـاطه هذا إلى مصر دخل فى صراعات متعددة مع بعض رجـال الأعمـال المصـريين بالقـاهرة والشـرق الأوسـط لعبـوا أدواراً مهمـة ضـد نشاطات مروان التجارية المتعددة التى كان يدير بعضها ابناه "جمال" و"أحمد" في مجالى الأوراق المالية والإعلام.. وسقط الاثنان فى بحور من المشاكل لا أحد على وجه التحديد يعرف إن كانت بسبب سوء إدارتهما لأعمالهما الخاصة؟.. أم بسبب عداوات أبيهم.. لكن المؤكد أن كليهما كان ضيفاً على ساحات المحاكم التى شهدت بعضـاً من هذه القضـايا.. فأحمد وهو بالمناسبة كان زوجا لـ " هانيا " إبنـة عمرو موسـى أمين عـام جامعـة الـدول العربية ووزير الخارجية المصرى السابق وقع فى مشاكل ماليـة كبيرة بسبب تعثره فـى إدارة شـركته الخاصـة " سيجما " التـى كانـت تعمـل فـى مجـال سمسـرة الأوراق الماليـة وأصبح مهدداً بالسجن أو سداد مبـالغ ماليـة وصلت إلـى 150 مليـون جنيـه وتـم تقديمـه لمحكمة الجنايات ومنعه من السفر.. ولولا تدخل والده وصديقه المليونير السعودى الشهير " فهد الشوبكشى " لحدث ما لاتحمد عقباه..

وهو أيضاً ماحدث بشكل آخر أقل حدة مع ابنـه جمـال الـذى يملك ويدير قنـوات " مولدى" الفضائية حيث دخل فى صراعات كبيرة مع نجيب ساويرس بسبب قضايا شيكات وإيصالات أمانة متبادلة بينهما وتم منعه من السفر بقرار من محكمة العجوزة وقبل وفاته

بأسبوع اتصل به والده ونصحه بأن ينهى مشاكله فى أسرع وقت مع ساويرس وحول لـه مبلغ مليون دولار لإنهاء تلك المشكلة.. ويبقى سر آخر تكشف عنـه الصحافة المصرية [1].. وهو إرساله لأحد الصحفيين يطلب منـه مستندات خاصة بفساد وطلبات إحاطة مقدمة فى مجلس الشعب ضد أحمد عز واهتمامه الشديد بهذا الموضوع..

1 - جريدة صوت الأمة حوار أجراه الصحفى محسن عيد... العدد الصادر بتاريخ 2 يوليو 2007.

الفصل الثالث:
ملف العميل بابل!!

الموساد أكذوبة كبرى..!!:

الموساد عند الإسرائيليين مثل حائط المبكى.. يذهبون إليه متوهمين أنه الملاذ الذى يتخلصون عنده من الذنوب والآثام.. ولأنهم يعشقون الكذب على أنفسهم جعلوا منه أسطورة كبرى تحولت بمرور الوقت إلى أكذوبة أكبر.. وبدؤوا يروجون لقدرات جهازهم المخابراتى الذى يستطيع أن يصل إلى مخادع الزعماء العرب ويتسلل برجاله إلى أحلامهم وهم نائمون.. لكن فجأة تحول هذا الصرح الكبير داخلهم لأكبر وصمة عار فى حياتهم.. وتوالت عليهم المصائب من كل صوب جميعها كانت بإخفاق كبير من أكذوبتهم الأكبر.. وتحول الموساد إلى مادة موسمية للسخرية والاستهزاء من الصحافة العربية والعالمية.. وفى الصحافة الإسرائيلية نفسها تحول قادته إلى متهمين أمام الرأى العام.. وخضعوا للمساءلة والمحاكمة.. وكتبت صحيفة «معاريف»:

(أن أشرف مروان وأياً كنت الأسباب وراء موته فإنه ترك بقعة سوداء تلوث تاريخ الجاسوسية في إسرائيل بعد أن خدعها وجعل من هذه المؤسسة أضحوكة بعد أن لعب عليهم لعبة العميل المزدوج)..

معنى " بابل "..!!:

وقبل أن نبدأ بحثنا فى ملف العميل بابل نتحدث أولاً عن المغزى من تسمية أشرف مروان بالعميل " بابل " فهل للاسم دلالة ما؟.. المؤكد أن عالم المخابرات لا تطلق فيه الأسماء هكذا بلا هدف ولا معنى لأن هذا العالم المثير بنى أساساً على الدقة والقصد في كل شيء.. ونفاجئ بأن الاسم يرتبط في تاريخ بنى إسرائيل بالبرج الشهير والمدينة الموجود بالعراق القديمة والاثنان يحملان نفس الاسم وكان اليهود يسكنون بها.. فى وقت كان فيه العالم بحسب ما يذكر تاريخهم يتكلم جميعاً لغةً واحدة.. وعندما أمر الله ملائكته بتدمير البرج تشتت أحفاد آدم في كل الشعاب وتعددت لغاتهم فعمت الحيرة والبلبلة أرجاء المعمورة.. فهل يعنى هذا أشرف مروان قد أصابهم هم أيضاً بنوعٍ من

البلبلة؟.. بعد أن ذكرهم بحيرتهم القديمة فأطلقوا عليه هذا الاسم؟؟.. مجرد استنتاج قد يؤدى إلى فك بعض طلاسم هذا الملف الشائك..

" لا مستحيل " فى عالم المخابرات...!!:

أشرف مروان مثله مثل أى شخصٍ آخر تنطبق عليه أصول اللعبة التى تقول: إن أى شخص من الممكن تجنيده ليصبح جاسوساً.. لافرق فى ذلك بين عالمٍ.. وجاهل.. أو بين وزير.. وغفير.. فالكل لديه دائماً مايقدمه لمن يهمه الأمر الذى يقدر ما لديه من معلومات ويدفع ثمن ذلك..

العميل المزدوج..!!:

لكن بالقياس نفسه لا يصلح أى شخص للعب دور العميل المزدوج.. فهناك فى قمة الهرم المخابراتى يسكن أعلى تصنيفات العملاء فى هذا العالم المثير.. وهم ملوك عالم الجاسوسية.. أولئك الأشخاص الذين نطلق عليهم تسمية " العملاء المزدوجون" وتعنى التسمية: إن من يحمل هذا اللقب ليس جاسوساً عادياً.. إنما هوعميل فوق العادة ويتطلب إعداده للقيام بمهامه المكلف بها تدريبات ونفقات مادية عالية.. فضلاً - وهذا هو الأساس فى الاختيار - عن إمتلاكه الفطرى لقدرات خاصة من الاستعداد والذكاء الشخصى والحرص المتناهى حتى يستطيع خداع الأجهزة التى يعمل ضدها.. وعلى هذا الأساس تم تصنيف أشرف مروان كعميل مزدوج.. يتمتع بكل هذه المواصفات الشخصية الخاصة.. فضلاً عن كونه يحتل مساحة كبيرة من الأهمية فى بلاده..

لصالح من لعب أشرف..!!:

وأصبح الرجل يمسك بيديه طرفى علاقة مخابراتية غامضة بين كلٍ من المخابرات المصرية العامة.. ونظيرتها الإسرائيلية.. ومع التسليم المطلق بأن أشرف مروان لعب دوراً ما.. لصالح جهةٍ ما.. فلصالح من.. وضد من كان يلعب.. هل لصالح مصر وضد

إسرائيل.. أم العكس؟.. أم كان يلعب على الاثنين لصالحه الشخصى؟؟.. لكن على كل الأحوال نقول: إن خطورة الدور الذى لعبه الرجل تجعلنا نضعه عن جدارة كثالث ثلاثة هم الأهم بلا منازع فى تاريخ الجاسوسية..

" الأستاذ ".. " الجاسوس الكامل "!!:

.. الأول يطلق عليه لقب " الأستاذ " ويعتبر أنجح الجواسيس على الإطلاق.. واسمه الحقيقى " ريتشارد سورج " وكان يتميز بشخصية فريدة تنبع من ذكاءه غير العادى وثقافته الموسوعية وجرأته الشديدة.. مما جعله يقترب كثيراً من لقب " الجاسوس الكامل " وهو وصف يكاد يكون حكراً عليه.. سافر إلى اليابان أوائل الأربعينات من القرن الماضى وأنشأ هناك ما عرف بأنه أكمل وأدق شبكة جاسوسية عرفها التاريخ.. بدأ عمله فى العاصمة طوكيو كمراسل صحفى لجريدة الحزب الشيوعى فى موسكو وبجرأة شديدة قام باستئجار غرفة فى منزل مسؤول المخابرات اليابانية نفسه.. ووضع فيها جهاز الإرسال والاستقبال الذى كان يستخدمه فى تبادل الرسائل مع جهاز المخابرات الذى يعمل لحسابه.. وطوال ثلاث سنوات لم يستطع أحد اكتشاف أمره.. ومضى فى طريقه مخترقاً المجتمع اليابانى عبر كل طبقاته بفضل لباقته الشديدة حتى وصل إلى داخل القصر الإمبراطورى الحاكم هناك.. وأصبح قريباً جداً من معاقل صنع القرار باليابان مما مكنه من الإطلاع على كل وأدق التفاصيل وإرسالها أولاً بأول إلى بريطانيا.. لكن كانت نقطة ضعفه الوحيدة: هى النساء.. وكان على علاقة براقصة " إستربتيز " تعمل فى الخفاء لصالح المخابرات اليابانية وحدث أن سقطت منه برقية مشفرة بعد أن أفرط فى الشراب وهو بمنزلها.. وعندما غادر الشقة التقطت هى الورقة وقامت بتسليمها إلى المخابرات اليابانية التى ألقت القبض عليه ومن ثم حكم عليه بالإعدام..

" ميجال بورنو ".. أخطرمن عرفه عالم المخابرات!!:

والجاسوس الثانى هو" ميجال بورنو " قائد حركة المقاومة الشعبية المسلحة فى أورجواى بأمريكا اللاتينية وكان الرجل معروفاً عنه جرأته الشديدة قام بالعديد من العمليات التى كبدت الحكومة خسائر ضخمة.. وتم تجنيده للعمل ضد حركة المقاومة التى كان هو نفسه زعيماً لها.. فيما عرف بأنه أخطر وأصعب عملية تجنيد عرفها عالم المخابرات.. وبالمصادفة البحتة اكتشف رجال المقاومة خيانة زعيمهم وعمالته للحكومة التى زرعته بينهم من البداية وكانت صدمتهم بالطبع عنيفة لدرجة أنهم عندما أصدروا الحكم بإعدامه رمياً بالرصاص رموه بـ60 طلقة دفعةً واحدة.. وظلت جثته معلقة بالشارع ثلاثة أيام..

أشرف مروان " العميل بابل "..!!:

أما أوراق ملف العميل بابل.. فتقودنا إلى رسم ملامح ما لرجل لو صح نصف ما قيل عنه لأصبح بحق وكما وصفه فيما بعد " هوارد بلوم " الصحفى الشهير بأنه كان أكثر الجواسيس تأثيراً فى الشرق الأوسط.. ويستحق بجدارة أن يكون الضلع الثالث لـ " ميجال بورنو" و" ريتشارد سورج " ليشكل الثلاثة معاً أهم وأخطر ملاحم الجاسوسية فى تاريخها الطويل..

غموض الرؤية..!!:

لكن هذا لا يمنع أن الصورة غير مكتملة الأركان يعتريها الغموض فى كثير من جوانبها.. أوراقها تجعلك فى حيرة شديدة وكأنك محبوس داخل حجرة كلما أردت أن تخرج منها ومددت يدك لتفتح بابها وجدت نفسك داخل حجرة أخرى بابها يقودك إلى غرفةٍ أخرى.. وهكذا بلا نهاية.. وأكبر دليل على ذلك ما قاله " شلومو جازيت " مدير المخابرات الحربية الإسرائيلية الذى تسلم مهام عمله بعد حرب أكتوبر وبالتحديد فى شهر أكتوبر 1974 حيث أكد لجريدة معاريف الإسرائيلية بعد مصرع أشرف مروان: "

أنه قرأ بنفسه ملف أشرف مروان مرتين دون أن يستطع حسم موقف الرجل.. هل كان معهم أم ضدهم.. لكن المؤكد أنه كان هناك.. وقبض من الموساد "..

ونلتقط الخيط من حديث الرجل لنبدأ نناقش الاحتمالات التى يطرحه الملف.. ونبدأ بالاحتمال الأول الذى دارت آلة الإعلام الإسرائيلية بكل قوتها فى اتجاه نشره عالمياً وهو..

أشرف مروان عميلاً للموساد..:

للصورة ملامحها التى تحاول المخابرات الإسرائيلية الترويج لها.. تبدأ بأن الموساد نجح فى تجنيد أشرف مروان ليكون عميلاً خالصاً لإسرائيل عام 1969.. أى فى عز اندلاع حرب الاستنزاف.. وفى حياة صهره الرئيس الراحل عبد الناصر.. وعلى مدار السنوات التالية كان أشرف عيناً لهم داخل مؤسسة الحكم ليس فى مصر فقط ولكن مع العديد من الدول العربية الأخرى التى كان الرجل يتمتع بصداقة غير عادية مع رؤساء وملوك تلك الدول..

روايتان مختلفتان..!!:

وهناك روايتان مختلفتان لتجنيد أشرف مروان تحكيان كيف بدأت العلاقة بينه وبين المخابرات الإسرائيلية..

الأولى..!!:

يحكيها " هوارد بلوم " فى كتابه "عشية الدمار" ويقول فيها أن أشرف ذهب إلى العاصمة البريطانية للعلاج من آلام فى المعدة تعتريه من آن لآخر.. واصطحب معه مظروفاً كبيراً فيه بعض الأشعات والتحاليل كان قد أجراها فى القاهرة لتشخيص حالته.. وحجز لدى أحد الأطباء المشهورين فى علاج أمراض المعدة والجهاز الطبى.. وعندما دخل أشرف حجرة الكشف ناول الطبيب المظروف الذى كان يحمله.. فتح الطبيب

المظروف وتغيرت سريعاً معالم وجهه وهو يخبر أشرف أنه قد أعطاه مظروفاً آخر غير المقصود.. فابتسم أشرف وقال له: لا خطأ فيما حدث.. فقط عليك أن توصل هذا المظروف بطريقتك الخاصة إلى السفارة الإسرائيلية.. ابتسم الطبيب ببرود شديد وهو يغلق المظروف ثانيةً بينما يقول لأشرف معتذراً أنه لايعرف أحداً بالسفارة الإسرائيلية.. لكن أشرف فاجأ الطبيب بقوله أنه على علم تام بعمله مع السفارة بدليل زيارة شخصية عربية كبيرة له الأسبوع الماضى فى نفس العيادة ولقاءه مع " ياكوف هيرتزوج " مدير مكتب رئيسة الوزراء الإسرائيلية.. أسقط فى يد الطبيب ولم يستطع الرد.. تركه أشرف وترك له المظروف الذى كان يحمله وذهب إلى حال سبيله بعد أن قام الطبيب بالكشف عليه وكتب له روشتة بها بعض الأدوية عملاً بنصيحة أشرف حتى يبدو الأمر عادياً ولا يشك أحد.. بعدها بعدة أيام كان أشرف يتسوق بعض المشتريات من محلات "هاردوز " عندما اصطدم به أحد الزوار وأخذ يعتذر له وهو يساعده فى التقاط ما وقع من يديه على الأرض بينما يخبر أشرف فى نفس الوقت بأنه عليه مغادرة المكان فوراً والذهاب إلى محطة المترو القريبة من المكان ليركب ويتوجه إلى المتحف البريطانى ليقطع تذكرة لدخول غرفة الاطلاع الرئيسية بالمتحف فهناك من ينتظره لأمرٍ هام.. فهم أشرف الرسالة وغادر مسرعاً المحل وبينما هو فى طريقه إلى محطة المترو فوجئ بمن يحيط به ويدفعه بسرعة إلى إحدى السيارات التى كانت واقفة تنتظر بالقرب من المكان.. كان الرجل من الموساد بالطبع.. واصطحب أشرف إلى مكانٍ ما تابعاً لهم حيث خضع بالتأكيد للعديد من الاختبارات قبل أن يبدأ مشواره معهم.. ويؤكد بلوم أن القيادة الإسرائيلية عندما تيقنت من حقيقة أشرف اعتبرته هدية من السماء جاءتهم على طبق من ذهب.. وكانوا لا يتأخرون عن تلبية أية مطالب مالية له حتى أنهم أعطوه ما يوازى 20 مليون دولار طيلة فترة عمله معهم..

* * *

الثانية..!!:

جاءت فى كتاب " تاريخ إسرائيل " الذى صدر فى نوفمبر 2002 عن دار نشر ماكميلان البريطانية بمناسبة مرور 29 عاماً على حرب أكتوبر.. مؤلف الكتاب هو مؤرخ يهودى إسرائيلى يدعى "أهارون برجمان".. غادر إسرائيل ليقيم فى لندن عام 1989 وكان قبلها يعمل قائداً لإحدى كتائب المدفعية بالجيش الإسرائيلي وعمل فى المخابرات الإسرائيلية لفترة قصيرة.. ثم ترك الخدمة بعدما رفض العمل فى المناطق المحتلة أثناء الانتفاضة الأولى.. وسافر لاستكمال دراسته والحصول على الدكتوراة من جامعة لندن.. وتخصص فى تأليف كتب عن الصراع العربى الإسرائيلى.. وكان هو أول من فجر قضية أشرف مروان عندما نشر كتابه ولم يذكر فيه اسم أشرف مروان صراحةً وإنما اكتفى للإشارة إليه بالاسم الكودى لـه وهو "العميل بابل" أو" هاموتن " وتعنى بالعبرية " الصهر ".. وأشار إليه من بعيد بصفات لاتحتمل اللبس فى تحديد الشخص المقصود.. فذكر أنه زوج إحدى بنات الرئيس المصرى وشغل فى نفس الوقت منصب المستشار السياسى ومدير مكتب الاتصالات الخارجية للرئيس السادات الذى تلاه فى الحكم.. وأشار إلى أنه لعب دور العميل المزدوج ببراعة وزود إسرائيل بمعلومات مضللة قبل حرب 1973.. وأثناء المعارك..

ويقول فى الكتاب: أنه ذات يوم وقبل ما يزيد عن ثلاثين عاماً دخل شاب أنيق إلى مقر سفارة إسرائيل بلندن ليطلب التحدث إلى مسؤول المخابرات الإسرائيلية بالسفارة.. وعندما حضر رجل الموساد لم يتعرف على شخصية الزائر حتى بعد أن أسرّ لـه باسمه.. وقال لـه:

" أريد أن أعمل لصالحكم على أن أزودكم بمعلومات لم تحلموا من قبل بالحصول عليها.. وأريد مالاً مقابل المعلومات.. وصدقني أنه سيسركم دفع المال لي ".. لكن رجل

الموساد الذى لم يتخيل حجم ولا قيمة الزائر المجهول بالنسبة لـه حاول صرفه فقال لـه الشاب: عليك فقط أن تبلغ إسرائيل باسمي وسأعود الأسبوع المقبل..

ويتابع برجمان أن المسؤولين في الموساد لم يصدقوا أنفسهم بمجرد ما ردد أمامهم مندوب الموساد اسم الزائر المتطوع للتعامل معهم.. فقد كانت القصة أفضل كثيراً مما يتخيلون.. بعدها سافر مسؤول من الموساد إلى أوروبا وجلس مع الشاب الذى لم يكن سوى " أشرف مروان".. وتم تجنيده.. وأصبح اسمه الحركى منذ ذلك الوقت " العميل بابل " وتلقى خلال الأعوام التي تلت هذا اللقاء مبالغ طائلة وصلت إلى ثلاثة ملايين دولار مقابل معلومات حول مصر زود بها الموساد..

بابل هو الأكثر أهمية..!!:

إذن نحن كما قلنا أمام روايتين مختلفتين لبداية علاقة أشرف مع المخابرات الإسرائيلية.. لكن أجمعت كلتا الروايتين على أن أشرف هو الذى سعى متطوعاً للتعاون مع المخابرات الإسرائيلية.. الهدف بالنسبة لـه كان هو المال.. والمال فقط.. بدليل قولـه على حسب رواية برجمان وهى بالمناسبة الرواية الأكثر شيوعاً " أنه سيسركم دفع المال لى" أى أنه كان يعدهم بما لم يحلموا بـه.. كما أجمعت الروايتان أن بداية العلاقة كانت عام 1969.. كما تجمع الروايتان أن أشرف مروان استطاع أن يكسب ثقة إسرائيل بلا حدود وتمتع بأهمية ووضعية خاصة من لحظة تيقن الجانب الإسرائيلى من شخصيته.. ووفقاً لرواية برجمان أنه بدايةً من شهر فبراير 1970 زوّدهم بمعلومات " أصبحت هى الأكثر أهمية للجانب الإسرائيلى ".. كان من بينها وثائق من غرفة القيادة المصرية نفسها.. مثل محادثات عبد الناصر والرئيس السوفييتي ليونيد بريجينيف فى موسكو يوم 22 يناير 1970 وما دار فيها من معلومات والتى طلب خلالها عبد الناصر من نظيره السوفييتي تزويد مصر بأسلحة متطورة وقاذفات طويلة المدى.. ونسخة خاصة من

الرسالة السرية التى بعث بها الرئيس السادات للرئيس السوفيتى بريجينيف بتاريخ 30 أغسطس 1972 يكرر فيها مطالب عبد الناصر..

قصة طائرة الركاب الليبية..!!:

وكان أهم تلك المعلومات وأبرز عوامل نجاح مروان في إقناع الموساد بولائه.. حسبما يروي أهارون برجمان فى كتابه" تاريخ إسرائيل " المشار اليه " [1].. قصة طائرة الركاب الليبية ففي فبراير من عام 1973 ضلت طائرة ركاب ليبية طريقها بسبب عاصفة شديدة واقتربت من إسرائيل.. فخشي الإسرائيليون من أن تكون الطائرة موجهة لضرب مفاعل ديمونة في صحراء النقب فأسقطوها.. ومات كل من كان فيها وعددهم مئة وثمانية أشخاص بينهم وزير الخارجية الليبي الأسبق صالح بو ياسر والمذيعة المصرية سلوى حجازى.. وقد ثار الزعيم الليبي معمر القذافي وحمل برج المراقبة الجوية المصري المسؤولية عن انحراف الطائرة.. وطالب السادات بالرد على إسرائيل مصراً على الإنتقام بإسقاط طائرة إسرائيلية.. لكن السادات خشي من أن يؤدي القيام بعمل إنتقامي إلى اندلاع حرب شاملة مبكرة لم يكن وقتها مستعداً لها وإفساد خططه الحربية التي يعد لها منذ سنوات.. فتظاهر بالتجاوب مع الزعيم الليبي وعهد إلى مروان بإعداد خطة لشن هجوم إنتقامي.. فاقترح أشرف مروان أن يقوم فريق من خمسة فلسطينيين بضرب طائرة ركاب إسرائيلية أثناء إقلاعها من مطار روما بصاروخ R.B.G.. وبعد التجهيز للعملية بالفعل أبلغ أشرف مروان الموساد بالخطة واعتقل الفلسطينيون الخمسة في إيطاليا قبل تنفيذ العملية بعد أن نقل الموساد لأجهزة الأمن الإيطالية المعلومات التي تلقاها من عميله.. وكسب أشرف مروان بذلك مصداقية وثقة غير مسبوقة على صعيد القيادة الإسرائيلية.. خاصةً من جانب قادة الموساد.. ويجدر الإشارة إلى أن نفس القصة الخاصة بالطائرة الليبية ذكرها أيضاً الصحفى الإسرائيلى "

---

1 - وهو ما ذكرته أيضاً فيما بعد جريدة معاريف الإسرائيلية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٩..

عاميت كوهين " على صفحات جريدة معاريف الإسرائيلية تعقيباً على مصرع أشرف مروان وفى محاولة منه للتأكيد على عمالة أشرف مروان للموساد..

وبمرور السنين أصبحت إسرائيل أكثر تعلقاً بالمعلومات التى يقدمها لهم أشرف إلى درجة أنه طالما لم يقل بابل أن حرباً ستنشب فإن شعبة الاستخبارات العسكرية لن تفكر بأن الحرب على الأبواب حتى وإن كانت كافة الدلائل تشير إلى اقتراب نشوب الحرب.. ويؤكد ذلك المؤلف الإسرائيلى " إبرام رابيونو" فى كتابه " حرب يوم الغفران" الذى قضى أكثر من عشر سنوات يجمع مادته من ملفات أرشيفى كل من المخابرات العامة الإسرائيلية " الموساد " والمخابرات العسكرية " أمان ".. ويقول فى الكتاب: إن إسرائيل كان لديها ثلاث مصادر على قدر كبير من الخطورة تمدها بالمعلومات الهامة عن مصر وسوريا تحديداً وباقى دول المواجهة العربية بشكل عام وهم: المخابرات المركزية الأمريكية.. العاهل الأردنى الملك حسين.. وأشرف مروان..

تناقض.. وثغرات.. وأسئلة بلا إجابة!!:

والتساؤل البديهى هنا كيف سارت العلاقة بين أشرف مروان خلال الفترة منذ بداية تجنيده عام 1969 والتاريخ المشار إليه فى رواية برجمان فبراير 1970.. هل قضاها أشرف مروان مثلاً كفترة تدريب لإعداده من جانب الموساد بالشكل الذى يتناسب مع أهميته المشار إليها بالنسبة لهم.. وأين تم تدريبه.. هل فى القاهرة؟.. أم فى بلد آخر " لندن " مثلاً.. التى تم تجنيده فيها ويتواجد بها الفروع الخارجية الرئيسية لأجهزة المخابرات فى العالم ومن بينها الموساد بالطبع.. وسواء كان هنا أم هناك أم فى أية دولة أخرى لم يكن أشرف مروان يستطيع مغادرة مصر أو التحرك داخلها أوخارجها بسهولة نظراً لحساسية عمله فى مكتب صهره الرئيس عبد الناصر الذى كان وقتها مازال على قيد الحياة.. عموماً فات الروايات الإسرائيلية على تعددها أن تجيب لنا عن

هذا السؤال.. لأن المؤكد أنه مثله مثل أى جاسوس يدخل عالم الجاسوسية للمرة الأولى يجب أن يتم تدريبه بالشكل الذى يتناسب مع الدور المنوط به تأديته.. وتبعاً لأهميته الشخصية بالنسبة للجهاز الذى يتجسس لصالحه وأشرف مروان باعترافهم أنفسهم كان على قمة الهرم من الأهمية بالنسبة لهم..

الموساد يحلم..!!:

وإذا سلمنا بأن الاختراق وصل إلي داخل بيت الرئيس وأسرته.. ثم مكتب الرئيس السادات ومكاتب كل الحكام العرب عن طريق نفس الشخص كما يدعون.. فما هى إمكانية حدوثه؟.. الإجابة الوحيدة أنه ما كان الموساد أوغيره من أعتى أجهزة المخابرات بقادرعلي إختراق المؤسسة الرئاسية لأية دولة بهذه السهولة.. أن اختراق المؤسسة الرئاسية ليس بالشئ الهين ولا اليسير وإنما يخضع كل من يحاول الاقتراب من تلك المؤسسة سواء فى مصر أو فى أية دولة أخرى للتشريح الأمنى والمخابراتى بشكل غير عادى.. وتلك القصة فى مجملها ما هى إلا حلماً حاول الموساد مراراً وتكراراً الوصول إليه وتحقيقه من قبل إلا أن الفشل الذريع كان دائماً هو مصير تلك المحاولات.. فحاولوا أن يحققوا بالادعاء الكاذب ما فشلوا فيه على أرض الواقع.. والقصة التالية هى الأشهر فى هذا السياق ونسوقها للتأكيد على أن ذلك مستحيل الحدوث بهذا الشكل الساذج..

حكاية " د. على العطفى "..!!:

وكان بطل تلك القصة شخص يدعى " د. على العطفى " وهو المدلك الخاص للرئيس أنور السادات.. وأشهر طبيب علاج طبيعى فى مصر أثناء فترة السبعينات.. وعميداً للمعهد العالى للعلاج الطبيعى.. وبوسيلة أو بأخرى تم ترشيحه للرئيس السادات ليعمل لديه كمدلك خاص.. وبدأ الرجل يدخل ويخرج على الرئيس فى منزله ومكتبه بحرية شديدة.. لكن أجهزة المخابرات المصرية لم تكن لتترك أى شخص يتمتع بهذه

القرب من المؤسسة الرئاسية دون أن تبحث وتفتش وراءه.. وكانت المفاجأة التى صعق السادات وهو يسمعها من رئيس جهاز المخابرات المصرية التى اكتشفت أن شهادة الدكتوراة التى يحملها العطفى من جامعات موسكو مضروبة ولا أصل لها فى السجلات الجامعية هناك.. وبتضييق نطاق البحث أكثر وأكثر اتضحت جوانب أكثر خطورة للحقيقة.. حيث تبين أن العطفى تم إرساله ضمن إحدى البعثات إلى موسكو للحصول على الدكتوراة فى العلاج الطبيعى من هناك.. إلا أنه كان متكاسلاً وطالب فاشل لا يلتفت إلا إلى ملذاته ونزواته فحسب.. فالتقطته عيون الموساد هناك.. وتم تجنيده بعقد صفقة خاصة معه تقضى بمنحه شهادة دكتوراة فى تخصصه مقابل العمالة للموساد.. وهو ما وافق عليه الطالب الفاشل فوراً.. وعقب عودته إلى مصر انضم بموجب شهادة الدكتوراة المزورة إلى طاقم التدريس بالمعهد العالى للعلاج الطبيعى.. وتدرج فى مناصبه التدريسية حتى أصبح عميداًً للمعهد فى فترة وجيزة وأصبح أشهر طبيب علاج طبيعى فى مصر.. ثم انضم لطاقم أطباء الرئيس وأسرته وأصبح مدلكاً خاصاً له قبل أن تكتشف حقيقته ويتم تقديمه للمحاكمة حيث حكم عليه بالإعدام شنقاً بتهمة الخيانة العظمى.. وعندما كان السادات يجلس مع الوفد المصرى وأمامه مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى لوضع البنود النهائية لاتفاق كامب ديفيد فوجئ السادات ببيجين يشترط عليه أن يتم تسليم على العطفى للسلطات الإسرائيلية كأحد أهم شروط الاتفاق.. وعندها مد السادات يده وتناول غليونه وبدأ يشعله على طريقته الشهيرة وهو ينظر لرئيس المخابرات المصاحب له فى الوفد المصرى نظرة ذات مغزى.. وفكر لبرهة بسيطة ونظره يتنقل بين الاثنين مناحم بيجين الذى كان ينتظر رده.. ورئيس المخابرات الذى ينتظر قراره.. وعندها قال السادات لبيجين وهو ينظر ثانية لرئيس المخابرات أن طلبه جاء متأخراً فقد تم بالفعل تنفيذ حكم الإعدام فى العطفى اليوم..

إعدام بالتليفون..!!:

ولحظتها استأذن رئيس المخابرات ليخرج من الاجتماع لأمرٍ ما.. وبمجرد خروجه قام على الفور بالاتصال بنائبه فى مصر وأمره بتنفيذ حكم الإعدام فى " العطفى " على الفور.. وهو ماتم بالفعل فى دقائق معدودة عاد على أثرها رئيس المخابرات ليرد على نظرة السادات السابقة لـه بنظرة أخرى كان مضمونها مايريده السادات الذى لم يكن ليسمح لإسرائيل أن تفاوضه على استعادة جاسوس مصرى الجنسية عمل لصالحها وكان هدفه الرئيسى اغتياله هو شخصياً بكريم خاص كان الموساد على وشك تسليمه إياه [1]..

* * *

أخطر المعلومات..!!:

وكان أهم وأخطر المعلومات التى سربها أشرف للموساد بزعمهم تلك المعلومة الخاصة بتحديد يوم وساعة الحرب قبل أقل من يومين من نشوبها.. فمن واقع ما كتبه المؤلف الإسرائيلى " برجمان " أنه فى تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح الخميس (4) أكتوبر قام أشرف مروان بالاتصال تليفونياً بمسؤول متابعته فى الموساد وقال لـه كلمة واحدة " ترشيح " وهى تعنى حسب الشفرة المتفق عليها بينهم أن الحرب على وشك القيام.. وبعدها طلب أشرف منه ضرورة تجهيز لقاء عمل فورى مع رئيس الموساد فى لندن ظهيرة اليوم التالى.. ولخطورة المعلومة قام مسؤول الموساد بالاتصال برئيس الجهاز فى منزلـه وأيقظه من النوم ليخبره بالأمر فقام بدوره بالاتصال بكل من موشيه ديان وزيرالحربية.. وجولدا مائير رئيسة الوزراء وأبلغهم بالأمر.. وفى اليوم التالى تم عقد اجتماع على مستوى القيادة العليا فى إسرائيل وتم فيها الربط بين ما أبلغهم به

---

1 - بلغ من وقاحة على العطفى أنه أثناء إقامته بالسجن كان يتباهى بعمالته للموساد وادعى أنه كان مدلكاً خاصاً لعبد الناصر قبل السادات وأنه هو الذى تسبب فى موته عن طريق تدليك جسده بنفس الكريم.. وهو ما ثبت كذبه بدليل أن جهات التحقيق تجاهلت الموضوع برمته ولم تلتفت إلى ادعاءاته الكاذبة..

مروان وبين التقرير الذى حمله إليهم قائد الوحدة 848 التابعة للمخابرات العسكرية الإسرائيلية المسؤولة عن التقاط الأحاديث والتى أصبح اسمها فيما بعد الوحدة 2800 وكانت قد تابعت وتلقت تحذيرات واضحة عن مغادرة المستشارين الروس وعائلاتهم فجأة كلاً من مصر وسوريا فى نفس الليلة التى تلقوا فيها تحذير ومكالمة أشرف مروان.. وتم الربط بين الأمرين بدلالة واحدة هى أن هناك نية فعلية لدى مصر وسوريا لخوض الحرب.. وعليه انتهى الاجتماع بتكليف رئيس الموساد بالسفر فوراً إلى لندن للقاء أشرف.. وهناك التقى الاثنان فى إحدى الشقق التابعة للموساد واستمر لقائهما أكثر من ساعتين أخبره مروان خلالها بأن مصر وسوريا سوف تشنان حرباً شاملة مستغلين انصراف الجبهة الإسرائيلية وقادتها للاحتفال بعيد الغفران اليوم التالى السبت الموافق السادس من اكتوبر وذلك قبل حلول ظلام وتحديداً في الساعة السادسة من مساء اليوم.. وأمده ببعض المعلومات الأخرى الهامة تتعلق بخطة العبور.. وفى نهاية اللقاء لم ينس مروان أن يذكر رئيس الموساد بضرورة تحويل مبلغ 200 ألف دولار لحسابه السرى.. وبعد اللقاء قام رئيس الموساد بإرسال برقية للقيادة العليا هناك وصلتهم الساعة الثانية والدقيقة 40 من صباح السادس من أكتوبر كان محتواها كالآتى:

" الصفقة التجارية سوف تتم اليوم بتوقيع العقد مع حلول الظلام "

* * *

هل سيفعلها المصريون هذه المرة؟؟..

.. بعدها بساعة بالضبط كان " إسرائيل ليور " المستشار العسكرى لجولدا مائير يسلمها البرقية.. وفى تمام الرابعة والنصف صباحاً كان موشيه ديان يقلب البرقية فى يده وهو جالس أمامها يسأل نفسه هل المصريون جادون فى فعلها حقاً هذه المرة.. أم أن سيناريو ماحدث قبل أقل من 150 يوم وبالتحديد فى 15 مايو من العام نفسه سوف

يتكرر هذه المرة أيضاً؟.. بعد أن تسببت برقية مشابهة من قبل فى تكبدهم ما يزيد عن 45 مليون دولار التهمت حوالى 40 % من ميزانية إسرائيل لتعبئة ونشر القوات الإسرائيلية بطول القناة ثم سحبها مرةً أخرى من خطوط المواجهة وفقاً لخطة عرفت باسم " أبيض وأزرق".. كان الأمر بلا شك محيراً للغاية لدى القيادة الإسرائيلية.. وكان فى مخيلته أيضاً التحذير السابق الذى وصلهم من قبل فى ربيع عام 1972 عبر أشرف مروان محذراً بشدة من حرب لم تحدث.. ويقول برجمان أن ذلك كان بمثابة الخدعة الأخرى التى أوقعهم فيها الرجل لأن الحرب لم تبدأ مع حلول الظلام.. بل اندلعت بالفعل قبلها بأربع ساعات في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالى كانت كافية لتحقيق النصر المطلوب حيث لم يتمكن الجيش الإسرائيلي من إتمام تعبئة قواته بعد أن بدأت القيادة الإسرائيلية ذلك بالفعل في العاشرة من صباح السادس من أكتوبر..

السؤال الحائر..!!:

ويهمنا هنا أن نتوقف قليلاً لنقرأ تلك الأحداث بتركيز أكبر ونتساءل هل كان أشرف مروان يتصرف من تلقاء نفسه ورغب أن يمسك العصا من المنتصف ويكسب ثقة الإسرائيليين وفى نفس الوقت لايسرب موعد الحرب الصحيح حتى لا تأخذ إسرائيل حذرها؟.. فى هذه الحالة سيكون احتمال كونه يعمل لصالحه هو فقط الاحتمال الأقرب للتصديق.. لكن سوف نساير مؤقتاً الادعاء بعمالة أشرف مروان للموساد وتسريبه لموعد الحرب لنرى إلى أين ستقودنا احتمالاته..

ذراع السادات اليمنى..!!:

ونعود لبرجمان ونتوقف هذه المرة عند كتابه الأول الذى صدر عام 1999 بعنوان حروب إسرائيل"ISRAEL's WARS" وتعرض فيه برجمان أيضاً لقصة أشرف مروان ووصفه فى كتابه بأنه " الذراع اليمنى للسادات ".. فهل لم يكن السادات وهو رئيس جمهورية يعرف أين يروح ويجيء ذراعه اليمنى ويتركه هكذا يسافر إلى لندن

قبل اندلاع الحرب بـ 24 ساعة فقط دون أن يعرف عنه شيئاً حتى وإن كانت مهام عمله فى الرئاسة بعيدة تماماً عن المؤسسة العسكرية.. وهل يحتاج إبلاغ أشرف للموساد بتفاصيل ساعة الصفر ذهابه خصيصاً إلى لندن فى مثل هذا التوقيت الهام والحساس الذى يتطلب بقاءه بجوار القيادة التى كان يشغل بها آنذاك منصباً غاية فى الأهمية وكانت تعيش فيه مصر كلها حالة قصوى من الاستنفار والتعبئة فى كل المجالات تمهيداً ليوم الغد الحاسم.. وكيف غادر أشرف القاهرة إلى لندن يوم 5 أكتوبر والثابت تاريخياً أن السادات قد أصدر أوامره فى نفس اليوم بإغلاق المطار.. ألم يذكروا فى رواياتهم المتعددة ومن خلال الملفات التى أفرجوا عنها فيما بعد بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على حرب أكتوبر أنه قد أبلغ متابعيه فى الموساد تليفونياً بموعد الحرب وتبقى بعض التفاصيل التى كان من الممكن إبلاغهم بها وهو فى مكانه بالقاهرة بأى شكل فلن يعدموا لقاءه واستلام أو معرفة هذه التفاصيل بصورة أو بأخرى بدلاً من أن يعرّض نفسه للخطر بالسفر إلى لندن ولقاء رئيس المخابرات الإسرائيلية نفسه فى شقة مملوكة للموساد فى وقت كانت بلا شك أعين المخابرات المصرية فى أشد حالات انتباهها ويقظتها لأنها كانت تعيش لحظات فاصلة فى تاريخ بلد يستعد منذ سنوات لذلك اليوم.. الخلاصة أنها رواية غير منطقية وغير مقبولة على الإطلاق

بعلم المخابرات المصرية..!!:

التفسير الوحيد لها بفرض حدوثها بالفعل يكمن فى عمل أشرف مروان بالفعل لصالح المخابرات المصرية ولا مجال لتبرير هذا الموقف والتعامل معه من منطلق صحته سوى أن القيادة أعطت أشرف الضوء الأخضر ليبلغ الإسرائيليين ذلك.. فسفر أشرف إلى لندن للقاء مسؤول الموساد فى هذه الساعات العصيبة لابد وأنه كان بعلم وتخطيط خاص من القيادات العليا ومن السادات شخصياً.. وأنه كان بذلك موفداً فى مهمة خارجية سرية لاتقل خطورة عن المهام التى كانت كل القيادات فى مصر تقوم بها

فى الوقت نفسه لوضع اللمسات الأخيرة للمعركة الفاصلة التى كانت ستندلع بعدها بعدة ساعات..

رواية كاذبة..!!:

وهذا يقودنا إلى تحليل آخر قد ينسف هذا الطرح من أساسه ليؤكد كذب الجانب الإسرائيلى فى هذه الرواية.. وهوهل كانت أربع ساعات فقط كفيلة فى ذهن القيادة المصرية لتحقيق الانتصارالذى يسعون إليه؟.. وهل لا تكفى فى نظر القيادة المصرية أربعين ساعة فقط كانت تفصل بين إبلاغ أشرف أول مرة لمسؤول متابعته فى الموساد تليفونياً بموعد الحرب ليأخذ الجانب الإسرائيلي احتياطاته اللازمة ويعد للأمرعدته.. بل ويتمكن مثلاً من القيام بهجوم مضاد ينهى المعركة قبل أن تبدأ.. ألا يعتبر ذلك نوعاً من المغامرة غير المحسوبة من جانب مصر قد تؤدى فى النهاية وفى لحظة واحدة لضياع مجهود وإعداد دام سنوات؟؟ إذن يبقى الادعاء بأن أشرف قد سرب موعد وساعة حرب أكتوبر بالتحديد أمراً غيرمنطقياً خاصةً مع تأكيد الرئيس المصرى حسنى مبارك فيما بعد أن ساعة الصفر لم يكن هناك من يعرفها سوى خمسة أشخاص فقط ذكرهم بالاسم ولم يذكر بينهم أشرف مروان.. وبالتالى لم يكن من الطبيعى ولا من المنطقى حتى بزعم قربه الشديد من الرئيس السادات أن يطلعه عليها.. لكن من الممكن أن يكون قد استطاع إقناع الجانب الإسرائيلى بقدرته على ذلك وفقاً لتدبير مقصود من الجانب المصرى.. خاصةً أنه إن ثبت أن الادعاء الإسرائيلى فى هذا الشأن كان صحيحاً فيكون بذلك وقع الهزيمة أصعب لأنهم تم تحذيرهم منها ولم يستطيعوا تجنبها أوعلى الأقل تخفيف صدمتها وكانت هزيمتهم فيها منكرة.. فكيف كان سيصبح وقعها عليهم إذا لم يتم تحذيرهم من الأساس.. ولوكان قد توافر معلومات لدى القيادة الإسرائيلية تحدد موعد الحرب مثلما يدعون لكان الجيش الإسرائيلى سيستعد أقل درجات الاستعداد من باب الاحتمالية.. لكن وضع الجنود والجيش الإسرائيلى لحظة العبور كان يؤكد العكس

تماماً.. فعندما كان المصريون يعبرون القناة وهم يهتفون بصيحة النصر «الله أكبر.. الله أكبر» كان الجنود الإسرائيليون بالمايوهات والشورتات.. يلهون ويلعبون [1]..

وبعض المؤرخين والكتاب الإسرائيليين مثل البروفيسور اليهودى" أوربر يوسف " أنفسهم مقتنعين تماماً أن أشرف من المستحيل أن يكون قد صرح للجانب الإسرائيلى بموعد الحرب وهو ما يؤكده أوربر فى كتابه " المشاهد الذى نام ".. والأهم أن مسار حرب أكتوبر فيما بعد ينفى تماماً مزاعمهم فى هذا الشأن.. فما حدث فى السادس من أكتوبر 1973 كان بمثابة صفعة كاملة لجميع الأجهزة الأمنية والمخابراتية الإسرائيلية.. حيث لم يعرف التاريخ خطة حرب استراتيجية كانت مكونةً من 40 بنداً مختلفاً على كافة الأصعدة المدنية والعسكرية والمخابراتية مثلما حدث فى معركة العبور التى مازالت تدرس إلى يومنا هذا فى العديد من المعاهد العالمية العسكرية المختلفة..

والسؤال الآن: من يستطيع أن يؤكد أوينفى تلك المعلومة القادمة من ملفات جهاز مجروح فى كفائته العملية.. وقُعِتْ شهادة وفاته فى اليومِ الذى لن ينساه وهو السادس من أكتوبر 1973ودفن جثمانه فى قبر الهزيمة المرة متكفناً بالفشل الذريع لبطولاته الوهمية.

عندما ينقلب السحر على الساحر!!:

أما اتهام أشرف مروان بالعمل كجاسوس لصالح إسرائيل.. فهو أمر تعتريه شكوك كثيرة للأسباب الآتية: -

---

1 - يقال أن هناك معلومات مؤكدة وصلت لإسرائيل عن موعد قيام الحرب عن طريق الملك حسين ويقول الكتاب: إن العاهل الأردني التقى برئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير في مقر الموساد بتل أبيب يوم الخامس والعشرين من سبتمبر/ أيلول من عام 1973 وحذرها من أن العرب يعدون لحرب وشيكة.. ونرفض أيضاً ما يتردد فى هذا الشأن من أن هذه المعلومات وصلت من حاكم عربى.. فأى حاكم مهما بلغ به الإستهتار وعدم تقدير الأمور لايصل به الحال الى هذه الدرجة.. فما هو الدافع الذى يدفع مثل هذا الحاكم الى اخبار اسرائيل بذلك.. هل يطمع فى العمل مع الموساد مثلاً وأن يكون تحت حمايتهم؟؟.. أم كان يطمع فى أموالهم.. وكلا الإحتمالين يبلغ من التفاهة وعدم المنطقية حداً يجعلنا نسخر ممن يرددونها..

- أولاً: أن الذي كشف النقاب عن عمل مروان كجاسوس لحساب إسرائيل.. هى مصادر إسرائيلية.. مدعيين أنه قدم لهم خدمات جليلة.. وهو أمر يثير الريبة.. فمن المستحيل أن تكشف مصادر مخابراتية عن عملائها العاديين.. فما بالنا بشخص فى قدر وأهمية مروان؟.. بل العكس هو الصحيح.. فالمفروض فى مثل هذه الحالات أن يحاط الرجل بأكبر قدر من السرية.. والحماية على الأقل مكافأةً له على ما أسداه لهم من خدمات يقولون أنها كانت جليلة بحسب زعمهم.. والأرجح أن تكون إسرائيل قد قصدت من هذا التسريب المتعمد.. ضرب عدة عصافير بحجر واحد لتشويه النظام المصري بكل رموزه وامتداداته.. خاصة الحقبة الناصرية.. ودفع المخابرات المصرية للكشف عن بعض أوراقها أوأساليب عملها..

- ثانياً: الكشف عن هذا الملف تم في سياق صراع غير مسبوق (سيلى توضيحه فى موضعه) بين كلٍ إيلي زعيرا.. رئيس المخابرات العسكرية.. وتسيفي زامير.. رئيس الموساد.. والإثنان كانا يشغلان أثناء حرب أكتوبر منصبين على درجة عالية من الأهمية والخطورة يمثلان معاً جناحى أجهزة المخابرات الإسرائيلية وتقتضى طبيعة العلاقة بينهما التعاون والتكامل.. وليس الخلاف والصراع الذى وصل لساحات المحاكم وشاشات التليفزيون.. وصفحات الجرائد.. وليس من المعقول أن يكون كل منهما قد تصرف على هذا النحو من تلقاء نفسه بل الاحتمال الأقرب التصديق هو أن كل هذا قد تم وفق خطة موضوعة بدقة شديدة من الدولة التى يمثلانها معاً للتعتيم على إخفاقات جهازهم المخابراتى المتكررة.. وكمحاولة لاستعادة الثقة فيه من جانب الشعب الإسرائيلى والرأى العام هناك.. ولكن أنقلب السحر على الساحر.. وخسروا بقصتهم المزعومة تلك أرضاً جديدة كانوا فى أشد الاحتياج إليها فى هذا التوقيت الذى توالت عليهم فيه الضربات الموجعة مخابراتياً بسقوط العديد من عملائهم فى قبضة المخابرات المصرية مثل عزام عزام.. وفائقة مصراتى ووالدها.. و شريف الفلالى الذى توفى فى

محبسه بعد مصرع مروان بأيام قليلة.. والعطار وغيرهم..

- لماذا تعاملت إسرائيل مع عميل وصفته المحكمة العليا هناك فيما بعد بأنه زرع فى نفوسهم نوعاً من عدم الثقة فيما يبلغهم به من معلومات خاطئة بخصوص موعد الحرب.. حيث خلصت المحكمة من خلال اللجنة الخاصة التى أمرت بتشكيلها برئاسة «شيمون إجرانات» الرئيس السابق للمحكمة العليا في إسرائيل والذي عهد إليه بالتحقيق في الهزيمة أمام القوات المصرية عام 1973 وعلى مدار 140 جلسة استماع عقدتها المحكمة أن أشرف مروان واعتبارا من عام 1972 قام بإبلاغ إسرائيل ثلاث مرات بمواعيد خاطئة لاندلاع الحرب وهو ما لم يحدث.. فهل كان هذا هو الدور الحقيقى المكلف به أشرف مروان وهو العمل على استنزاف إسرائيل مادياً وتكبيدهم خسائر فادحة عن طريق تعبئة وفض الجيش من وقتٍ لآخر.. كنوعٍ من الحرب الاستراتيجية.. ونجح فيه مروان فى النهاية باعترافهم الشخصى على لسان العديد من قادتهم فيما بعد وإن كانوا لم يشيروا إلى شخص أشرف مروان [1]..

- أكدت تحقيقات اللجنة المشار إليها أن أشرف مروان ذهب بنفسه إلى السفارة الإسرائيلية في حي كنجستون بلندن عام 1969 أثناء حياة الرئيس عبد الناصر ودخل السفارة وقال أنه يعرض خدماته عليهم وقد أثارهذا تعجب الإسرائيليين لمعرفتهم بأن السفارة مرصودة جيداً.. فكيف لشخصٍ مثله أن يغامر حتى بالاقتراب منها؟؟.. وكيف لم يعرفه مندوب جهازهم المخابراتى من اللحظة الأولى وهو الشخص الذى كان ملئ السمع والبصر فى بلده مصر وصوره تملأ الجرائد والمجلات من لحظة ارتباطه بابنة الرئيس الذى كانوا يرصدون ويتابعون كل المحيطين به ومن الطبيعى أن يكون لديهم ملفات خاصة عن كلٍ منهم..

---

1 - راجع مذكرات جولدا مائير وموشيه ديان فى فقراتها الخاصة بحرب إكتوبر

لقاء الأشباح..!!:

- بفرض أن هذا اللقاء المزعوم الذى تم فى مبنى السفارة الإسرائيلية بلندن حدث بالفعل فهل كان بين أشباح.. حتى لا ترصده المخابرات المصرية ولا الأمريكية التى تتخذ من العاصمة البريطانية مسرحاً لاتتوقف عليه عروضها المخابراتية طوال الوقت.. ولا حتى المخابرات البريطانية وهى واحدة من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم.. والتى تشير وثائقها الرسمية [1] فيما بعد إلى معرفتها الجيدة بالرجل ومتابعتها له من بعيد مع توصية شديدة بإخفاء اسمه وذلك وفقاً للبرقية التى أرسلها السير " ريتشارد دبيمونت " السفير البريطانى فى القاهرة فى فترة السبعينات إلى قسم استقبال البرقيات الفورية بالخارجية البريطانية وذلك تحديداً فى 25 أغسطس 1972 والتى حملت رقم 1223 بشأن ما أسفرت عنه زيارة السيد " ريجنالد أندرسون " مسؤول مبيعات الأسلحة مع الجانب المصرى حيث حضر تلك المفاوضات الرئيس المصرى السادات ومعه الفريق محمد صادق وزير الحربية ومروان الذى لعب دوراً هاماً فى الاتفاق بين الجانبين وترتيبات ما قبل وبعد زيارة الوفد الإنجليزى.. ويوصى السفير البريطانى رؤساءه الذين تلقوا البرقية أن يظل اسم أشرف مروان سرياً فى حالة تبادل البرقية مع أماكن أخرى [2].. وبين السطور لم يكن خافياً نبرة السفير البريطانى التى تفيض إعجاباً بهذا الشاب الصغير الذى استحوذ على ثقة السادات ودوره الهام معه فى تأمين صفقات السلاح مع بريطانيا.. التعقيب الوحيد لنا على ذلك وعلى ما أكدته تحقيقات المحكمة الإسرائيلية المشار إليها سابقاً.. أن شخصية بمركز ووضع أشرف مروان فى الحكومة المصرية وقتها ويتمتع بحصانة دبلوماسية تجعل مثله خاضعاً طوال فترة إقامته بأية دولة يذهب إليها للمتابعة الأمنيةً على مدار 24 ساعة ما كان يستطيع أن يتحرك بكل

---

1 - انظر صورة الوثيقة فى فصل الملحقات.

2 - بحسب ما أشارت إليه جريدة الطريق القاهرية فى عددها رقم 4 الصادر فى 7 يوليو 2007..

هذه الحرية ويذهب هكذا بمنتهى السهولة إلى مقر السفارة الإسرائيلية فى لندن والتى بحسب الرواية الإسرائيلية كانت مؤمنة تماماً.. ومثلها مثل غيرها من باقى السفارات الأجنبية بالعاصمة البريطانية أوغيرها تخضع أيضا كما قلنا للمراقبة المخابراتية والأمنية المستمرة طوال 24 ساعة.. فكيف لم يلحظ أحد ذلك.. خاصةً أن الشخص الذى ذهب للسفارة لم يكن كما قلنا شخصاً عادياً.. الاحتمال الذى فات الموساد عند ترويجهم لتلك القصة والذى كان من الممكن أن يلقى ببعض ظلال من المصداقية عليها أن أشرف مروان ذهب إلى هناك متنكراً.. لكن المؤكد أنه لم يكن لابساً طاقية الإخفاء.. أو هبط إليهم فى سفارتهم هناك على بساط الريح..

أين مذكرات قادتهم..!!:

- لماذا لم يذكر قادة إسرائيل الآخرون مثل جولدا مائير وموشى ديان وغيرهم فى مذكراتهم التى أعقبت الحرب وهى بالعشرات حرفاً واحداً عن حكاية أشرف مروان.. أو الصهر.. أو العميل بابل.. طوال الثلاثين عاماً الماضية؟.. ولماذا فوجئوا بخبر الحرب التى أفقدتهم أعصابهم ولم يكن لديهم أدنى علم عن ساعة الصفر.. وكيف يتفق هذا مع الادعاء الإسرائيلى بأن أشرف مروان قد أبلغهم بموعد الحرب قبلها بـ 48 ساعة.. ولماذا لم يأخذوا حذرهم على الأقل من باب الاحتياط؟..

- ولماذا وافق هؤلاء القادة على أن يعقد الجنرال " إلياهو زاعير " [1] رئيس أركان الجبهة الجنوبية الإسرائيلية مؤتمراً صحفياً خاصاً قبل الحرب بساعة واحدة.. ليؤكد خلاله للصحفيين الإسرائيليين أن أنباء الحشود المصرية كاذبة.. وأثناء المؤتمر جاءته ورقة صغيرة نزلت عليه كالصاعقة التى أخرسته تماماً ليهرول من مكانه كالمجنون تاركاً المؤتمر الصحفى الذى دعا بنفسه إليه.. ويلقى فى عصبية شديدة

1 - ذكر فى كتابات أخرى أنه كان رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية.. والواقعة ذكرها اللواء محمود خلف فى حديث خاص لجريدة صوت الأمة 2 يوليو 2007

بالورقة التى كانت عبارة عن برقية مضمونها أن المصريين يعبرون الآن قناة السويس.. وقام أحد الصحفيين بالتقاط الورقة وتلاوة ما جاء بها على باقى الصحفيين..

- أجمعت معظم الكتابات العالمية التى صدرت عن الشرق الأوسط وتناولت حقبة السبعينات [1] أن قادة أمريكا فى ذلك الوقت مثل نيكسون وكيسنجر الذى كان يقضى الويك إند بأحد فنادق نيويورك تم إيقاظهم من النوم لإخطارهم باندلاع الحرب.. مما يؤكد جهل أجهزتهم المخابراتية تماماً فى هذا الشأن.. ولو كان الموساد لديه علم بالموعد لكان القادة الإسرائيليون قد أبلغوا نظرائهم الأمريكان بالموقف.. فلم تصعقهم المفاجأة.. التى حملت إليهم أنباء مالم يكونوا يتوقعون حدوثه على الأقل فى هذا التوقيت.. ولولا الجسر الجوي الذى أرسلته القيادة الأمريكية فيما بعد لنجدة حليفتها إسرائيل فإن الحرب وفق جميع الاحتمالات كانت ستنتهي بهزيمة كاسحة ودمار شامل لما يسمونه دولة إسرائيل.. وهى لم تكن بالهزيمة البسيطة.. فعلى قدر المفاجأة وقسوتها.. وقوتها.. كان الانتصار متجاوزاً لكل الحدود المتوقعة.. والذى كان بحسب وصف مؤرخهم العسكرى " أهارون برجمان " مؤلف الكتاب الذى أثار كل هذه الضجة: أنه كان انتصاراً ساحقاً في البداية مما أغرى الرئيس المصرى أنورالسادات بتحويل هدفه الأساسى الذى خطط له سابقاً من حرب محدودة في سيناء لا تتجاوز أهدافها العبور إلى الضفة الشرقية للقناة.. ثم التوغل داخل سيناء عدة كيلومترات لإقامة تحصينات واتخاذ مواقع يستطيع الجيش المصري الدفاع عنها اعتماداً على منظومة الدفاع الجوي التي كانت قادرة على صد القوات الجوية الإسرائيلية.. وحول أهدافه إلى شن حرب شاملة على إسرائيل.. فتقدمت القوات المصرية في سيناء خارج نطاق دفاعاتها الجوية.. مما عرضها لضربات جوية مباغتة من الجانب الإسرائيلى وساهم في فتح الثغرة التي عبرت منها القوات الإسرائيلية

---

1 - راجع كتاب " من يجرؤ على الكلام" للكاتب العالمى " بول فندلى.. وكتاب " وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة" للكاتب الراحل أحمد بهاء الدين..

بقيادة الجنرال أرييل شارون إلى الضفة الغربية من قناة السويس [1].

* * *

1 - وهو ما يتفق مع وجهة نظر عبر عنها الفريق سعد الدين الشاذلي.. رئيس أركان الجيش المصري إبان الحرب.. في مقابلة أجريت معه عام 1998 بمناسبة مرور ربع قرن على معارك أكتوبر.

سيناريو آخر..!!:
البداية وضعها ناصر.. والنهاية صاغها السادات!!:

وإذا سلمنا بصحة الافتراض القائل بأن أشرف مروان لعب دور «العميل المزدوج».. فالمؤكد أن هذا الدور قد تم لحساب المخابرات المصرية وليس لحساب الموساد.. فهذا هو الإحتمال الأقرب للعقل والمنطق.. ولكن هذا الطرح يقودنا للإجابة عن سؤال هام وهو من سعى وراء الآخر.. هل مروان هو الذى سعى للعمل لصالح إسرائيل كما تقول رواياتهم؟.. أم أن المخابرات الإسرائيلية هى التى سعت إلى أشرف مروان لتجنيده وإقناعه بالعمل لحسابها مستغلين فى الشاب طموحه الملحوظ سياسياً ومالياً.. ونتساءل إذا كان أشرف مروان هو الذى سعى للعمل لصالح إسرائيل كما تقول رواياتهم التى أكدت جميعها على أن علاقة أشرف والموساد بدأت عام 1969 أى كما قلنا فى حياة صهره الرئيس الراحل عبد الناصر.. الذى تم إلحاق أشرف مروان للعمل بجهاز المخابرات بناءً على أوامر خاصة منه لرئيس الجهاز وقتها " أمين هويدى " وذكر أن أشرف كان مكلفاً بمهام سرية لا يستطيع هو التصريح بها.. فهل كان السيناريو منذ البداية بعلم وربما بتخطيط من الرئيس عبد الناصر نفسه الذى اختار زوج ابنته ليلعب هذا الدور الهام؟.. وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر استكمل الدور بمعرفة ومتابعة الرئيس السادات نفسه.. وفى حالة أن المخابرات الإسرائيلية هى التى سعت إلى أشرف مروان.. وسواء كان ذلك فى حياة عبد الناصر أوبعد وفاته و طغت وطنية أشرف على مشاعره وأخبر الرئيس - أياً كان السادات أم ناصر - بحقيقة الأمر.. فوجدوها فرصة لا تتكرر لتضليل الجانب الإسرائيلى.. وصدرت إلى أشرف أوامر رئاسية بأن يجاريهم ويكسب ثقتهم إلى أبعد مدى وساعدوه فى ذلك بتسريب بعض المعلومات إليهم لتبقى مصر محتفظةً بنقطة التوازن الاستراتيجية فى مرحلة ما قبل أكتوبر 73 من خلال ما يسربه لهم أشرف من معلومات تمتزج فيها بعض ظلال الحقيقة بالكثير من الأهداف

الأخرى الأهم مثل قصة الطائرة الليبية السابق الإشارة إليها من قبل والتى نجحت مصر من خلالها في تحقيق ثلاثة أهداف: فقد تفادت إشعال حرب شاملة مبكرة.. وحافظت على علاقاتها مع ليبيا.. ومنحت رجلها فى الموساد مساحةً غير مسبوقة من الثقة فى شخصه..

* * *

شمس الحقيقة تكشف الأكاذيب!!:

لكن يبدو أن الصحف الإسرائيلية التى لا تتصرف أبداً من تلقاء نفسها فى مثل هذه القضايا المتعلقة بأمنها القومى أوالتى تمس تحديداً جهازها المخابراتى كانت قد تلقت تعليماتٍ ما بتصعيد الحملة فى اتجاه أن أشرف كان جاسوساً لإسرائيل والتأكيد على نجاح الموساد فى تجنيده.. وبدأت تستغل كتاب برجمان الذى أصبح فيما بعد محللاً سياسياً فى إذاعة الـ " B.B.C "ومحاضراً فى قسم الحرب بجامعة لندن وكان السبب المباشر لكى تعرف حكاية " العميل بابل " طريقها للرأى العام عبرصفحات الجرائد وشاشات التلفيزيون فى إسرائيل أولاً.. ثم فى مصر.. وانجلترا وباقى الدول العربية.. ودول العالم.. وتستغل ما أثاره من جدل داخلياً وخارجياً لتثير موجات متعاقبة من تأليب الرأى العام على كل مستوياته.. بالرغم مما تناقلته الصحف العالمية فيما بعد من تأكيد بعض الصحف الإسرائيلية وبعض قادة الموساد أن مروان كان عميلاً مزدوجاً.. وأنه قد سبب إخفاقاً تاماً وكبيراً للموساد ومن بين هذه الصحف كانت جريدة معاريف الإسرائيلية التى أشارت إلى أن أشرف مروان هو الرجل الذى جعل من الموساد أضحوكة.. وانتقدت فى نفس الوقت بشدة قيام قادة الموساد بالكشف عن هوية واسم رجل يدّعون أنه كان عميلاً لهم بينما مازال هو على قيد الحياة.. ووصفت ذلك بأنه مخالف لكل قواعد التجسس في العالم.. حتى وصلت القضية إلى ساحات المحاكم هناك بعد أن قام تسفى

زامير رئيس الموساد أثناء حرب أكتوبر 73 برفع دعوى مباشرة أمام المحكمة المركزية فى إسرائيل يتهم إيلى زعيرا رئيس وحدة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي أثناء حرب أكتوبر 1973 بالإساءة إلى جهاز المخابرات الإسرائيلية " الموساد " والإساءة إليه هو شخصياً وطالبه بتعويض مليون شيكل عن ما سببه له من أضرار نفسية وأدبية كبيرة باتهامه له بأنه ضلل عن عمد القيادة الإسرائيلية فى حرب 73 مما ألحق بإسرائيل أضراراً فادحة.. إلا أن المحكمة نفت عن زاعيرا التهمة.. ولحساسية القضية أحالتها المحكمة إلى لجنة خاصة للفحص برئاسة قاضى محكمة العدل العليا الإسرائيلية السابق " تيودور أور ".

* * *

فضيحة على الهواء..!!:

وعقب تفجر القضية بهذا الشكل تمكن الصحفى الإسرائيلى الشهير " دان مرجليت " الذى يقدم فى التلفزيون الإسرائيلى برنامجاً بعنوان " ملحق الملاحق " أن يجمع الإثنين بالإضافة لأهارون برجمان الصحفى الذى فجر القضية من البداية.. وبدأ يفتح الملف الشائك على حد تعبيره ليسأل كل منهما أين الحقيقة فى قضية أشرف مروان؟.. وأخذ الاثنان يتبادلان الاتهامات فيما بينهما من ناحية.. ومن ناحيةٍ أخرى أخذا يراوغان المذيع الذى كان من الذكاء بحيث لم يتركهما يفلتان من الإجابة عن سؤاله الأساسى.. واستطاع أن ينتزع من كل منهما الإجابة ليعترفوا بأن أشرف مروان خدع الجميع وكان أهم أوراق انتصار المصريين فى السادس من أكتوبر.. عندها صرخ " مرجليت" فى وجوههم قائلاً: - "رجل كهذا كيف يصير حياً وحراً طليقاً يمارس حياته بشكل طبيعى إلى اليوم.. إن بقاء أشرف مروان حياً دون عائق هو أمر يؤكد أن إسرائيل راحت ضحية رجل محترف من الطراز الأول "..

مبارك يحتضن أشرف..!!:

وبدأت شمس الحقيقة تلوح فى الأفق عندما جاء يوم السادس من أكتوبر ٢٠٠٤ بث التليفزيون المصري فيلماً قصيراً يظهر فيه الرئيس مبارك وهو يصافح أشرف مروان بحرارة.. ويستعدان للانطلاق لوضع باقة من الزهور علي قبر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. وكانت هناك أسرة الزعيم الراحل.. وعلى غير العادة ولأول مرة فى تلك المناسبة السنوية كان يقف أشرف مروان مع باقى الأسرة أمام الضريح في استقبال الرئيس الذى صافح أفراد الأسرة مصافحة رسمية جداً وربما شابها الجدية الشديدة وبعض التجهم من الطرفين بما يقتضيه الموقف.. فالحدث هو ذكرى وفاة.. والمكان أمام ضريح المتوفى.. ولكن حين صافح الرئيس أشرف تخلى عن ذلك الإنطباع وبدا ودوداً.. وعلت وجوه الجميع ابتسامة حميمة.. خاصةً كل من الرئيس مبارك وأشرف مروان.. وكان الموقف ككل يحمل فى طياته رسالةً ما يريد الرئيس المصرى أن يوصلها للجميع.. وهى كيف يمكن للرئيس المصرى وهو ليس فقط رئيس الدولة بل القائد الأعلي للقوات المسلحة والقائد السابق للقوات الجوية في حرب أكتوبر.. وأحد أبرز قادة الحرب أن يحتضن خائنا؟.. إذ لو كان هناك ذرة من الشك في أشرف مروان لما حدث ذلك.. وجاء الرد للمرة الثانية من مبارك أيضاً بدعوة أشرف إلي حفل زفاف ابنه جمال..

إنه هو..!!:

فى نفس التوقيت كان هناك ضابط مخابرات إسرائيلى يجلس وراء مكتبه يمارس عمله بمبنى الموساد وهو المنوط به متابعة القنوات العربية.. وعندما شاهد هذا الموقف انتفض من مكانه ليصرخ قائلاً: إنه هو!!.. بعدها تم حفظ الشريط المسجل عليه هذا اللقاء مرفق به تعليق المخابرات الإسرائيلية فى جملة قصيرة تقول: " وهكذا.. لم يتبق مجال للشك.. فما كان الرئيس المصرى.. حسنى مبارك.. ليعامل أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها.. هذه المعاملة.. "

ثم.. كيف تعاملوا معه فيما بعد؟؟:

وأخيراً.. وبفرض التصديق بالرواية الإسرائيلية نتساءل: كيف تعاملت إسرائيل مع العميل بابل بعد انتهاء حرب أكتوبر..؟.. وكيف كانت صورة التعامل بفرض استمراره؟؟.. فالمؤكد أن عميلاً بأهمية مروان يجب استثماره لدى أى جهاز مخابرات لأقصى مدى ممكن.. خاصةً أنه استمر يشغل مناصب عديدة وحساسة فى مؤسسة الرئاسة وبعدها فى هيئة التصنيع والإنتاج الحربى التى أقيمت أساساً لتسليح الجيوش العربية لمواجهة الدولة التى تعتبر العدو الأول للدول العربية مجتمعة.. والتى يحمى أمنها جهاز المخابرات الذى يعمل لصالحه.. وخاصةً أيضاً أن أشرف مروان كان على علاقة دائمة ومتميزة بالعديد من الرؤساء والملوك العرب الذين اختاروه هو شخصياً ليرأس مجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع ووضعوا تحت تصرفه طائرة خاصة مما يوحى بثقة غير عادية فى شخصه.. وهى الثقة التى كان يستغلها السادات جيداً لإيفاده فى مهام خاصة لهؤلاء الملوك والحكام وغيرهم..

إذا كان التعامل قد توقف فعلى أى أساس قد توقف؟.. ولماذا يضحى الموساد بعميل فى مثل قيمة وأهمية أشرف مروان؟.. وكيف تم إغلاق ملفه؟.. أم أن الرجل لم يعد له دور بالنسبة لهم بعد انتهاء الحرب.. فهل تأكدوا مثلاً فى وقتها من خداعه لهم وأنه كان عميلاً مضاداً.. إذا سلمنا بهذا الفرض يكون قد توافر لدينا دليل قوى على أن أشرف مروان ما كان خائناً على الإطلاق لوطنه.. بل كان بتجاهلهم لذكر أى علاقة له بهم بعد الحرب قد حصل على شهادة لا شك فيها بكذب ادعائهم بعمالته لهم..

* * *

عندما تحدث مروان!!:

أما صاحب الشأن نفسه فقد قال رأيه مرتين فقط فى هذه القضية قبل أن يلتزم

بعدهما الصمت التام وذلك قبل مصرعه بعدة سنوات.. عندما التقاه الصحفى عادل حمودة فى مكتبه بمصر الجديدة فى بدايات اندلاع الأزمة على الصعيد المصرى والعالمى.. وعندما طلب منه عادل حمودة إبداء رأيه كتابةً فى هذه القضية تناول منه الورقة والقلم وكتب فى كلمات وجيزة مايلى: -

" إن هذه الرواية لا تبتعد كثيراً عن الروايات البوليسية الساذجة والرخيصة.. خرجت من عقل صاحبها وليس لها أساس من الصحة.. ولا الحقيقة ".. وهو نفس ما قاله فى حديثه الخاص مع جريدة الأهرام المصرية عام 2002 حيث قال: " إن كتاب برجمان ما هو إلا قصة بوليسية ساذجة "..

وبعد بأقل من ثلاث أسابيع رد عليه برجمان فى نفس الصحيفة قائلاً: -

" إن لم تكن أنت العميل المقصود فأرنا جواز سفرك لنرى أين كنت ليلة السادس من اكتوبر ".. وصمت مروان ثانيةً ولم يرد.. لكن الغريب أن علاقة ما بدأت تتلاقى خيوطها بين الاثنين بعد تبادلهما الاتهام على هذا النحو فى صفحات الأهرام.. وكان البادئ هو أشرف مروان.. واتصل ببرجمان تليفونياً ليقول لـه أنه يريد لقاءه.. وعرّفه بنفسه بطريقة غامضة عندما قال لـه: " معك الرجل الذى كتبت عنه ".. ولم يصرح لـه باسمه أبداً فى أى لقاء تليفونى بينهما..

اللقاء الأول والأخير..!!:

وفى 23 أكتوبر 2003 كان اللقاء الأول والأخير بينهما فى بهو أحد الفنادق بلندن.. ويومها كما يقول برجمان كان أشرف متوتراً بشكل غريب.. لكنه كان على المستوى الإنسانى رجلاً رائعاً.. وبدأ بيننا الحوار وكان يتلفت يمنةً ويسرة بشكل مثير للانتباه.. وعندما مددت يدى لأعدل الكرافت الخاص بى إزداد توتره وكأنه يخشى أن أكون أسجل حوارى معه.. أو أصوره مثلاً بطريقة ما.

ويؤكد برجمان أن اهتمامه بموضوع أشرف مروان كان قد بدأ قبل ذلك بسنوات طويلة وحتى قبل أن يتمكن من فك طلاسم ومعرفة الشخصية الحقيقية لمن تطلق عليه ملفات الموساد تسمية" الصهر " أو" العميل بابل " وتحديداً بعد أن قرأ كتاب إيلى زاعيرا "الأسطورة مقابل الحقيقة " الذى صدر عن حرب أكتوبر عام 1993 وعرض فيه بشكل غامض لشخصية مصرية رفيعة المستوى لعبت دور العميل المزدوج بين الجانبين المصرى والإسرائيلى.. فبدأ بعدها برجمان رحلته لكشف حقيقة هذه الشخصية وأخذ يتابع ويقرأ ويحلل كل ما كتب عن حرب أكتوبر وما صاحبها من أحداث طوال هذه الفترة حتى تمكن أخيراً من تحديد هويته والوصول إلى قناعته الشخصية فى هذه القضية.. يقول برجمان بالنص: -

(إن إسرائيل سقطت في السادس من أكتوبر في فخ نصبه لها عميل مزدوج [1].. نجح في تضليل وخداع جهاز المخابرات الإسرائيلية في مرحلة ما قبل حرب أكتوبر.. ونجح هذا العميل فى اتباع استراتيجية بعيدة المدي.. بدأت بتقديم معلومات صحيحة وقيمة لكسب ثقة الإسرائيليين.. مما زاد يقين الإسرائيليين بأن العميل بابل كان ركناً أساسياً في فشل إسرائيل في حرب أكتوبر..).

اهتمام متبادل..!!:

ويذكر أنه بعد أن التقى بمروان بدأت علاقاتهما تأخذ حيز الاهتمام المتبادل حتى وإن لم يلتقيا بعدها أبداً.. وفى لقاءهما المشار إليه يقول: أن أشرف أكد له أنه هو الذى كان يكتب كل خطابات السادات.. وعندما سأله عن حقيقة لعبه دورالعميل المزدوج رد عليه أشرف قائلاً: -

"أنه كان يعمل ضمن مجموعة تضم 40 فرداً.. مهمتها أن تعزز لدى الجانب

1 - في إشارة إلي أشرف مروان

الإسرائيلى مفهوم أن مصر لن تستطيع أبداً دخول الحرب على الأقل لعدة سنوات قادمة.."

وعاد ليسأله نفس السؤال الذى كان يبدو أن أشرف يتهرب منه بطريقة دبلوماسية.. لكن هذه المرة عندما كان أشرف يستعد للقيام بعملية جراحية خطيرة فى القلب بأمريكا وطلبه أشرف على هاتفه المحمول واستمر الحوار بينهما لمدة 40 دقيقة.. وعندما كرر برجمان نفس سؤاله القديم رد عليه أشرف هذه المرة بجملة يقول برجمان أنه لن ينساها أبداً.. قال له: -

" لم يكن هناك عميل مزدوج.. ولكن كان هناك مصر كلها "..

واهتم برجمان بعد ذلك بأن يبقى علاقته بمروان دائماً فى دائرة التواجد من حياة واهتمامات الأخير.. وكان يهتم بأن يجمع لمروان ما تنشره الصحف الإسرائيلية بخصوصه ويرسله له.. وكان آخر مرة عندما جمع له بعض ما كتب فى الصحافة الإسرائيلية تعليقاً على حكم المحكمة فى قضية زعيرا والتى كان هو محورها ووضعها فى مظروف وأرسلها إليه فاتصل به مروان على هاتفه المحمول ودار بينهما الحديث التالى: -

برجمان: سلام.. كيف الأحوال؟

مروان: على ما يرام.. كيفك حالك أنت.. لقد استلمت مظروفك..

ثم أخذ برجمان يحكى لمروان تفاصيل ونتائج الحكم الذى انتهت إليه المحكمة الإسرائيلية.. وسأله مروان وما هى نهاية ذلك؟

برجمان: فى النهاية نشر القاضى اسمك ولدى التقرير الخاص بالحكم.. لكنى لن أستطيع تبليغك إياه حتى لا أتهم بأشياء ربما لست مضطراً لتبليغها..

مروان: فهمت!!

وتعهد برجمان أن يحضر معه فى لقائهما القادم حكم المحكمة ليراه مروان بنفسه.. وانتهى بينهما الحوار بتبادل الكلمات التالية..

برجمان: بشكل عام كيف حالك؟

مروان: على ما يرام بإستثناء ذلك الصداع..

وكان مروان يقصد الكتابات التى تروج لها الصحافة الإسرائيلية له وما كانت تسببه له بلا شك من مشكلات عديدة على كافة الأصعدة..

ويؤكد برجمان أن أشرف اتصل به قبل وفاته بفترة وجيزة ثلاث مرات فى ساعة واحدة وهو مالم يحدث من قبل على الإطلاق.. ويصف ذلك بقوله: إن اتصال أشرف بهذه الصورة إنما كان بلا شك يعبر عن أزمة شديدة كان يمر بها الرجل.. فلم يكن هذا أبداً هو أشرف مروان الذى أعرفه.. كان شخصاً مختلفاً..

والمؤكد أن برجمان الذى نلمح من بين ثنايا حديثه تعاطفاً واضحاً مع الرجل الذى كان هو نفسه السبب الرئيسى فى كشف شخصيته وفضح دوره الذى ظل طى الكتمان قرابة الثلاثين عاماً وصرح للعديد من الصحف العالمية بعد مصرع أشرف مروان أنه يشعر بعقدة الذنب فى كشفه شخصية الرجل الذى من المحتمل أن يكون دفع حياته ثمناً لهذا الكشف.. ولكنه على حد تعبيره قد يلتمس لنفسه العذر لأنه كان يؤدى عمله المطلوب منه كصحفى يبحث عن الحقيقة ليقدمها للناس.. فى نفس الوقت الذى كان فيه أشرف يؤدى هو الآخر عمله لخدمة بلاده.. فقد كان كل منا يؤدى عمله بالشكل الصحيح لكن كان أشرف مروان من وجهة نظرى جاسوساً أكثر من اللازم..

إن كنتم تعلمون..!!:

.. بلا شك كان برجمان يقصد أن أشرف كان يعمل لصالح وطنه وكان مقتنعاً تماماً بذلك بدليل أنه اعترف فى نفس الحديث بأنه أهدى أشرف كتابه الأول وكانت صيغة الإهداء كالتالى: -

" إلى أشرف مروان بطل مصر ".. [1] وبدليل ما نشرته قبل ذلك جريدة " يديعوت أحرونوت " وما أطلقت عليه لفظ الصرخة التي أطلقها " برجمان " في وجه الجميع هناك بقوله للصحيفة : " علي الجدل الإسرائيلي حول أشرف مروان أن يتوقف .. لأن أشرف مروان كان مجرد بطل قومي مصري .. وصورة مبارك الذي قاتلنا في حرب أكتوبر وهو يحتضنه بمودة وتقدير كبيرين أبلغ من ألف سجال أكاديمي.. هذا إن كنتم تعلمون".

* * *

1 - جريدة الفجر عدد 23 يوليو 2007.

الفصل الرابع:
أيام مروان فى العاصمة البريطانية..
وأسرار اليوم الأخير..

رجل لا ينسى..!!:

.. يؤكد الجميع أن أشرف مروان حجز لنفسه موقعاً مميزاً فى ذاكرة عدد كبير من البشر باعتباره «رجل خير».. سخياً.. ليس فقط بعد أن استقر به المقام فى العاصمة البريطانية.. ولكن قبلها بكثير.. حيث يقول أحد زملائه بمكتب الرئيس السادات أن أشرف كان يتكفل سنوياً بإرسال العديد من الأشخاص للحج والعمرة ويتكفل بكافة نفقاتهم وإقامتهم بدءاً من شراء ملابس الإحرام لهم وانتهاءً بثمن تذاكر السفر ذهاباً وعودة.. ومروراً بكافة مصاريف إقامتهم بالأماكن المقدسة.. كل هذا على نفقته الشخصية.. وفى سرية تامة [1].. وطوال السنوات الطويلة التى قضاها بلندن كان أشرف مروان لايتردد عن مد يد العون لكل من يحتاج إليه.. وكان يحرص على أن يظل ذلك فى الخفاء.. بلا ضجيج.. ولا مفاخرة.. وعاشت الجالية على مدار خمسة عشر عاماً هى عمر تأسيسها بدعم كامل من الرجل الذى عمل بكل جهده للمساهمة فى تفعيل وتنشيط أعمالها.. وكان مروان من عاداته أن يمول عمليات شحن جثامين الموتى المصريين من لندن إلى القاهرة على حسابه الشخصى.. ويمول إفطارات شهر رمضان.. ويرسل ليستقدم من مصر خصيصاً علب الكعك وحلوى المولد النبوى الشريف ليتم توزيعها على أعضاء الجالية المصرية.. ويلخص كل ذلك أحد أفراد الجالية هناك بقوله: -

" كنا مطمئنين لأنه موجود.. ظهر يمكن أن نستند إليه "

لذلك استحق عن جدارة اللقب الذى أطلق عليه هناك وهو " عمدة المصريين فى بريطانيا ".. لايتفق مظهره والتصورات المأخوذة عنه باعتباره رجلاً صاحب ثروة.. له علاقات غامضة.. ومحترف فى صراعات المال والأعمال.. إنه ببساطة وكما قال الكثيرون «متواضعاً جداً».. ويفضل أن يقدم خدمات كثيرة للمصريين فى اتجاهات

---

1 - ذكر ذلك عبد السلام الجمال فى حديثه الذى أدلى به للأستاذ محمود بكرى فى جريدة الأسبوع.

مختلفة.. وقطاعات متنوعة.. وبدون أن يعرف أحد ذلك..

* * *

الصدام مع الآخرين قدر أشرف الدائم..!!:

حتى عندما اصطدم به الآخرون كقدره دائماً.. وكان الآخرون هذه المرة هم بعض المثقفين المصريين فى لندن الذين قادوا تحالفاً ضده فى انتخابات الجالية المصرية هناك فى نهاية التسعينيات بدعوى أنهم لايريدون أن تكون الجالية.. هى جالية " أشرف مروان " من كثرة ما كان يقدم لها من إعانات وتبرعات.. وخاضوا الانتخابات ضده.. وحصل هو على أعلى الأصوات.. ولكنه استقال لأن الانتخابات جاءت بمن لا يستطيع التعامل معهم.. ولم يستمرهذا المجلس عاماً واحداً.. بعدها اعترف هؤلاء بأن أشرف كان على حق وأن وجوده كان مفيداً.. وأنهم خاضوا صراعاً غير مبرر ضد الرجل الذى لولاه ما ارتفعت لافتة " الجالية المصرية بالمملكة المتحدة " فوق المبنى الواقع بحى «كينزجتون» والذى خاض من أجله معارك قانونية متعددة ونضالاً قانونياً عنيفاً مع مجلس الحى لكى تقام مراسم صلاة الجمعة فى المقر.. وهو ما استطاع فرضه على الحكومة البريطانية التى كانت تعارض ذلك.. وفى بداية الأسبوع الذى لقى فيه حتفه كان الوقت قد حان لإنهاء ملكية الجالية المصرية للعقار الذى يقع فيه المقر الخاص بها قضائياً.. بعد عدة سنوات تخللتها صراعات قضائية طويلة على ملكية العقار.. وهو الأمر الذى كان يحتاج إلى حوالى ستين ألف جنيه استرلينى لمصاريف التقاضى.. فاتصل بعض أعضاء الجالية بأشرف مروان ظهيرة يوم الاثنين قبيل الوفاة بـ 48 ساعة فقط وعرضوا عليه الأمر فطمأنهم وتعهد بتسليمهم شيكاً بكامل قيمة المبلغ المطلوب.. واتفقوا على اللقاء معه فى فندق "جلوفرنس هاوس" الواقع بمنطقة ماى فير وسط لندن يوم الخميس.. لكن اللقاء لم يتم حيث توفى قبل الموعد بيوم واحد..

نكران الذات..!!:

وفــى غضــون الثمانيــة أشــهرالأخيرة مــن حياتــه دفــع أشــرف مــروان تبرعــات لمرضــى مختلفـين ســافروا إلــى لنـدن لتلقــى العــلاج علــى نفقــة الدولــة أو كــانوا مــن المقيمـين أو المبعـوثين هنــاك بلغـت فـى مجملهــا 41 ألــف جنيــه اسـترلينى.. وكــان يطلـب فـى الأيـام الأخيـرة مـن مستشـاره الطبـى أن يـذهب معـه إلـى المستشـفيات لزيــارة المرضــى.. وهــو مــا اعتــاد القيــام بــه دون إعــلان عــن شخصــه.. كــان يـزورهم باعتبـاره شخصـاً عاديـاً يطمـئن علـى النـاس.. خاصـةً أن ملامحـه الشـكلية قــد تغيــرت كثيــراً نتيجــة للأمــراض العديــدة التــى أصــيب بهــا.. كمــا أن وجهــه إعلاميـاً كـان مجهـولاً بالنسـبة لمعظـم النـاس.. وكـان فـى أواخـر أيامـه يسـتعد لتمويـل مشـروع تسـفير سـتة أطبـاء مـن الخبـراء البريطـانيين بصـحبة ثلاثـة أطبـاء مصـريين مـن المقيمـين فـى بريطانيـا إلـى مستشـفيات ومراكـز مصـرية عامـة.. لتقـديم العـلاج والجراحات لفترات طويلة فى عدد كبير من المحافظات المصرية.

* * *

أحلى الأوقات..!!:

وفى لندن كان يقضى أحلى أوقاته مع أحفاده عندما يحضرون لزيارته من وقت لآخـر خاصـةً بعـد انقطاعـه عـن زيـارة مصـر آخـر ثـلاث سـنوات مـن حياتـه بسـبب الادعاءات الإسرائيلية.. وكان يصحبهم إلى المسارح والملاهى هناك.. وقبل شهر واحد من وفاته اصطحب أحفاده جميعاً مع زوجتى ولداه جمال وأحمد إلى مسرح "سكوبيدو لايف شو".. وانتظر كثيراً حتى وصلوا إليه عند باب المسرح.. واشترى لهم بعض اللعب والحلويات.. وكان يتنقل بين القاهرة ولندن وباريس طوال العام.. أما أحلى أيامه فقد يقضيها فى "ماربيلا " الإسبانية التى يسافر إليها شهرى يوليو وأغسطس من كل عام حيث يقيم فى فندق خاص يملكه هناك وكانت تديره فيما قبل شركة شيراتون العالمية قبل

أن يفسخ عقده معها ويتولى إدارته بنفسه.. وكان من عادته أن يستقبل أصدقاءه المقربين فى هذا الفندق أثناء إقامته السنوية به ويقيم لهم حفلات خاصة يستقدم لإحيائها من مصر كل من المطرب عمرو دياب والراقصة دينا اللذين كانا أقرب الفنانين إليه.. وكان كريماً للغاية مع ضيوفه الذين كان ينفق عليهم بسخاء ويمنحهم ما يكفى للتسوق هناك.. بجانب هداياه الخاصة التى يعودون بها فى نهاية فترة استضافته لهم.. وأصدر أوامره لإدارة الفندق بتجهيز حفل خاص يوم 7 يوليو القادم للاحتفال بعيد زواجه وهو ما لم يحدث.

* * *

المعرفة على قدر الحاجة..!!:

أما فيما كان يتعلق بحياته الخاصة فقد كان أشرف مروان قليل الكلام يشارك فى الحوار فقط فى حدود معرفته.. حسب الانطباعات العامة التى تكونت عنه وعن شخصيته لدى الآخرين.. ووفقاً لما ذكره معظم من قاموا بالإدلاء بشهاداتهم عنه فى ملف مصرعه ويشكلون فى مجموعهم قطاعات مختلفة من العرب وأبناء الجالية المصرية فى لندن.. أنه كان قليل الكلام.. متواضع للغاية.. مهذب جداً.. عطوف ورجل خير بمعنى الكلمة.. مجامل اجتماعياً.. حاسم وذكى للغاية.. كتوم.. مقاتل عنيد ومحب للحياة.. يتمتع بشخصية آسرة.. أمراضه العديدة التى تكالبت عليه أواخر أيامه لم تغير فى شخصيته شيئاً.. لايؤمن بوجود عداوة دائمة أو صداقة دائمة.. محباً لوطنه للغاية..

باختصار كان لايلتفت إلا إلى ما يهمه هو يسعى ليعرف كل فرد مايعنيه فقط وليس أكثر.. وهو ما يعرف فى عالم المخابرات بمصطلح «المعرفة على قدر الحاجة»..

* * *

الحقيقة..!!:

وعندما سأل ذات يوم عن ما تدعيه إسرائيل من تعاونه مع الموساد أثناء وقبل حرب 73.. وكان ذلك تحديداً فى لقاء خاص مع أعضاء مجلس إدارة الجالية.. قال لهم أنه لايهتم بما يكتب عنه.. ولن يرد على أحد.. وأن الناس سوف تكتشف الحقيقة.. لكن حتى وإن كانت ردود أشرف مروان توحى بعدم الاكتراث مما يكتب ويشاع عنه.. إلا أن الأمر ليس بتلك السهولة.. ويرفض العقل أن يتقبل الأمر على هذا النحو.. فالاتهام ليس سهلاً.. وهو ليس بالرجل العادى..

ولكن المؤكد أنه كان فى الطريق لكى يضع كلمة أخيرة موثقة ومتكاملة فيما يخص سيرة حياته فى مذكرات واضحة اختار لها اسم "الحقيقة" [1].. كما اختارأن يكون صدورها باللغة الإنجليزية وذكر ذلك صراحةً للعديد من معارفه والمقربين منه من بينهم السفير جهاد ماضى.. وهو ما أكده الصحفى العالمى " هوارد بلوم " فى مقاله المنشور بمجلة " نيويورك تايمز" بتاريخ 13 يوليو تحت عنوان " من قتل مروان؟ " ويقول: أنه كان قد اتفق مؤخراً مع أشرف مروان على الظهور فى أحد البرامج التى تذيعها قناة أمريكية خاصة للرد على ما تروج له إسرائيل ضده.. ووافق مروان فى البداية.. إلا أنه عاد واعتذر.. وعندما أراد بلوم أن يستفزه للرجوع عن اعتذاره وقال له: إذن أنت خائف!!.. رد عليه أشرف بقوله: (لماذا أخاف؟ لقد كنت مثل جندى أدى دوره)..

وأصر على اعتذاره مؤكداً له أنه سوف يقول كل ما لديه فى كتابه الذى سيصدر بعد حين.. ولن يتحدث إلا بعد أن ينتهى من الكتاب.. وتعلق زوجته منى على التزامه الصمت بهذ الشكل قائلةً أنها تحدثت إليه فى هذا الموضوع أكثر من مرة وكان يرد

---

1 - ذكر ابنه جمال مروان فى حديث خاص لجريدة أخبار الحوادث 5 يوليو 2007 أن الكتاب كان اسمه "الحقيقة فى مصر" وليس الحقيقة..

عليها بقوله " ولا يهمك.. دعيهم يقولون ماشاؤوا.. من ينظر إلى الشمس فى عز النهار ولا يراها يبقى مش عايز يشوفها.. مصر عندى أهم من نفسى ومن كل شئ.. وسيأتى وقت يعرف فيه الناس الحقيقة.. ليس عن طريقى.. إنما عن طريق الدولة وقيادتها ".. بينما ينهى بلوم مقاله بقوله: "إن أشرف مروان كان أكثر الجواسيس تأثيراً فى الشرق الأوسط"..

أين المذكرات..!!:

بعد وفاة أشرف تبين حصوله على إذن خاص من البنتاجون - وزارة الدفاع الأمريكية- للاطلاع على وثائق البنتاجون الخاصة بحرب أكتوبر.. وقيل: إن ذلك بغرض توثيق دوره فى الحرب وإضافته إلى مذكراته التى كان بصدد الانتهاء من كتابتها [1].. فأين تلك المذكرات وأين ما أملاه منها على ذلك الصحفى الانجليزى الذى اختاره بنفسه ليقوم بتحريرها وذكر ذلك بنفسه قبل وفاته بشهور قليلة للصحفى المصرى منير مطاوع حين عرض عليه أن يعاونه فى كتابة مذكراته و من هو هذا الصحفى.. وهل استحوذت أسرته على ما تم كتابته.. أم بقى فى حوزة ذلك الصحفى المجهول.. كل ذلك وغيره من الأسئلة تبقى بلا إجابة!!.. خاصة مع ما ذكرته صحيفة التايمز البريطانية فيما بعد استناداً إلى مصادرها الخاصة بالشرطة البريطانية أن وثائق ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ والنسخة الوحيدة من ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ كتاب أشرف مروان.. والشرائط المسجل عليها بصوته تلك المذكرات اختفت من منزله يوم الوفاة.. وكان قد قرر السفر إلى أمريكا نفس اليوم لتسليم النسخة النهائية من مراجعة البروفات إلى المطبعة التى كان قد اتفق معها على طباعة الكتاب الذى كان مقرراً صدوره في أكتوبر 2007 في ثلاثة أجزاء كل جزء 200 صفحة.. ويحوى كل ما بحوزته من

---

1 - جريدة الفجر القاهرية.. عدد 2007/8/13

وثائق وأسرار الفترة من 1969 إلى 1978.

أسرار اليوم الأخير..!!:

كان أشرف مروان يسكن إحدى الشقق ببناية " كارلتون هاوس تراس " فى لندن.. وهى إحدى أهم وأشهر وأغلى البنايات السكانية فى العالم.. وصل سعر آخر شقة بيعت فيها قبل عام واحد من مصرع مروان لـ 58 مليون جنيه استرلينى.. يحتل متحف الفن الحديث القسم السفلى منها.. كما تضم أيضاً فروعاً لأضخم الفنادق والمطاعم العالمية ولا يسكنها إلا علية القوم هناك من وزراء ورجال أعمال وسياسيين وغيرهم.. والبناية تقع بدورها فى أحد أشهر شوارع العاصمة البريطانية وهو شارع " سان جيمس " ويقع على يمينها منزل رئيس الوزراء البريطانى.. وعن يسارها مقر مجلس النواب.. وبالقرب منها قصر الأسرة المالكة.

موعد مع القدر..!!:

وفى تمام الساعة الواحدة والدقيقة الأربعين من ظهر يوم الأربعاء الموافق 28 يونيو 2007 كان أشرف مروان على موعد مع القدر ليقول كلمة النهاية فى مشوار حياته الذى استمر 63 عاماً.. حيث عثر على جثته ملقاة أسفل البناية.. وكان أحد أصدقاء أشرف مروان من أعضاء الجالية المصرية في بريطانيا في طريقه لزيارته عندما شاهده في شرفة منزله وهو يتحدث في الهاتف المحمول.. وبينما هو ينظر إليه فوجئ به يسقط بعد أن اختل توازنه.. وأكدت مصادر مقربة من أشرف مروان أنه كان يستعد للنزول من شقته لحضور اجتماع مع بعض رجال الأعمال.. وأنه توجه للشرفة ليشير لأحد منتظريه أسفل العمارة قبل أن يسقط..

وبسؤال خادمته الخاصة التى كانت معه بالشقة لحظة وقوع الحادث قالت: - أنه كان يجلس في مكتبه بالمنزل ثم سمعت صوت جرس الباب وذهبت لتفتح الباب فوجدت

عدداً من الأشخاص يخبرونها بأن الدكتورأشرف قد سقط من الشرفة وأن الجثة مسجاة في الشارع وجاءت الشرطة وضربت سياجاً مشدداً حول المكان لمدة ثلاث ساعات..

* * *

وبعد دقائق من وقوع الحادث كان رجال الشرطة يحيطون بالمكان..

* * *

وبعد أقل من نصف ساعة كان السفير المصرى فى بريطانيا جهاد ماضى تحيط به من كل جانب كاميرات ومندوبى الصحف والقنوات الفضائية العربية والعالمية وهو يمسك بتليفونه المحمول ليبلغ الخارجية المصرية بالحادث..

* * *

وبعد 3 ساعات تم الانتهاء من معاينة الجثة ومكان الحادث.. بعدها تم رفع الجثمان ونقله مباشرةً إلي مشرحة مستشفى ويست مينستر..

* * *

وكان آخر من شاهد أشرف مروان حياً من أقاربه شقيقته عزة التى باتت معه الليلة الأخيرة بشقته هى وحفيدتها الطفلة الصغيرة.. وفى صباح اليوم التالى تناولت معه طعام الإفطار ثم ودعته وأخذت معها حفيدتها لتذهب بها إلى إحدى المستشفيات الخاصة خارج لندن حيث كان مقرراً للطفلة أن تقوم بإجراء عملية جراحية فى نفس اليوم.. بينما كان آخر من سمع صوته هم موظفو مكتبه بالقاهرة ولندن.. حيث اتصل بمكتبه فى القاهرة قبل أن يلقى مصرعه بأقل من ساعة كعادته كل يوم واطمأن على سير العمل بالمكتب.. وأبلغهم بتعليماته الجديدة.. ثم تلقى اتصالات متكررة من مدير العلاقات العامة بمكتبه فى لندن يستعجله لحضور اجتماع مجلس الإدارة الذى كان مقرراً انعقاده فى

نفس اليوم.. وكان أشرف يرد عليه فى كل اتصال بأنه قادم إليهم.. وفى الاتصال الأخير اعتذر أشرف لإصابته بإرهاق شديد وطلب فض الاجتماع وتأجليه.. بينما يقول أحد الشهود أن هناك رجل أعمال تمتنع جهات التحقيق البريطانية عن ذكر اسمه حفاظاً على سرية التحقيقات قد زاره فى منزلـه فى تمام الساعة الحادية عشر والنصف من صباح نفس اليوم بعد أن غادرت شقيقته وحفيدتها المنزل.. وكان هناك سيارة خاصة تنتظر أشرف مروان أمام منزلـه لتحمله إلى المطار حيث كان مقرراً سفره فى نفس اليوم إلـى نيويورك..

* * *

ووصلت بعد الحادث بيومين زوجته منى عبد الناصر وولداه أحمد وجمال لمتابعة التحقيقات.. والعمل على سرعة إنهاء إجراءات تجهيز الجثمان وشحنه إلى القاهرة..

الرحلة الأخيرة..!!:

وبعدها بثلاثة أيام.. يوم السبت الموافق الأول من يوليو 2007 أقيمت صلاة الجنازة على جثمان أشرف مروان فى مسجد المنتدى الإسلامى بلندن.. وفي الرابعة من عصر نفس اليوم كـان جثمـان أشـرف مسجى فـى صـندوق يقبـع أسـفل طـائرة شـركة مصـر للطيران العائدة إلى مصر فى رحلتها رقم 778.. الصندوق تعلوه صورة من التقرير الطبي موقعة من الطبيب البريطانى " بول أنتونى " يشير إلى أن سبب الوفاة يرجع إلـى كسور متعددة بالجثة.. تحركت الطائرة لتقلع من مطار " هيثرو " بلندن فى الرابعة والنصف تقريباً.. لتصل إلى مطار القاهرة الدولى فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء نفس اليوم.. وعندما فتحت أبواب الطائرة ظهرت منى عبد الناصر.. تلك السيدة التى كانت هى كلمة السر فى مشوار حياة أشرف مروان الحافل.. وكانت قبل عدة أيام فقط زوجةً لـه وأصبحت اليوم أرملتـه.. كانت تهبط درج الطـائرة

شبه منهارة تنظر لمن حولها بعيون تحجرت فيها الدموع غير مصدقةٍ لما يحدث.. تتحثث طريقها إلى صالة كبار الزوار التى فتحت خصيصاً للأسرة يسندها من خلفها ابناها جمال وأحمد القادمين معها على نفس الطائرة مصطحبين الجثمان فى رحلته الأخيرة من لندن إلى مطار القاهرة الذى كان يومها فى وضعِ استثنائى ربما لايشهده إلا نادراً.. خاضعاً مباشرةً لإشراف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدني المصري وقائد القوات الجوية الأسبق الذى كان في استقبال أسرة أشرف هو والدكتور زكريا عزمى رئيس ديوان رئيس الجمهورية.. وآخرون..

* * *

وخصصت رئاسة الجمهورية سيارة إسعاف لنقل الجثمان من مطار القاهرة الدولي إلى مستشفى القاهرة التخصصي..

* * *

وفى العاشرة والنصف تماماً من صباح السبت خرج الجثمان فى السيارة الخاصة إلى مسجد " عمر بن عبد العزيز " بضاحية مصر الجديدة - شرق القاهرة - المجاور لنادى هليوبوليس المكان الذى شهد الشرارة الأولى لصعود نجم أشرف مروان لحظة تعارفه وإلتقاءه للمرة الأولى بزوجته منى..

* * *

وبدأت مراسم إقامة صلاة الجنازة على الجثمان الذى تم لفه بعلم مصر.. وقبل صلاة الجنازة ألقى الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر كلمة قصيرة قال فيها " جئنا اليوم لنودع رجلاً كان مخلصاً لدينه.. ووطنه ".. ثم أمَّ شيخ الأزهر جموع المشيعين لأداء الصلاة على الجثمان.. كان يتقدم المصلين الدكتورأحمد فتحي سرور

رئيس مجلس الشعب وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى.. وممثل رسمى عن رئاسة الجمهورية.. ورؤساء الأحزاب.. بالإضافة للعديد من السياسيين والنواب ورجال الإعلام والشخصيات العامة.. وغيرهم.. بالإضافة لجمال مبارك نجل رئيس الجمهورية.. واحتشد داخل وخارج المسجد آلاف المواطنين الذين كانوا ما يزالون يشمون فى الراحل عبق صهره الزعيم الكبير جمال عبد الناصر الرجل الذى يأبى إلا أن يكون حاضراً على الدوام فى وجدان غالبيتهم.. وساروا خلف سيارة الإسعاف التى خصصتها رئاسة الجمهورية لنقل الجثمان.. وتوقفت السيارة قبل المدفن بمائة متر تقريباً حيث حمل النعش ولداه جمال وأحمد وبعض المشيعين.. وشقوا طريقهم إلى مقابرعائلة عبد الناصر بمدافن الضباط الأحرار بجوار كلية البنات بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة..

* * *

وورىّ الجثمان التراب وتم تشييعه إلى مثواه الأخير وسط أجواء غاية فى الحزن والأسى بشكل يكاد ألا يتكرر إلا نادرا ويحمل فى طياته رسالة عنوانها الوحيد هوالحقيقة التى كانت واضحة وضوح الشمس لكل ذى بصيرةٍ يبصر ويدرك من الأمور حقائقها.. وانتهت جميعها إلى شئ واحد وهو أن الرجل ماكان يوماً خائناً لوطنه.. بل كان ناسكاً.. زاهداً.. متعبداً فى محراب البلد التى عاش حالةً إنسانيةً ووطنية فريدة من نكران الذات لأجلها..

* * *

وفى المساء وبمسجد آل رشدان بمدينة نصر.. وقفت أسرة أشرف مروان تتلقى العزاء في الرجل الذى أثار أكبر موجة من علامات الاستفهام فى تاريخ الجاسوسية فى الشرق الأوسط.. ثم رحل وتركها جميعاً بلا إجابة..

الفصل الخامس:
ويبقى اللغز
بلا إجابة..!!

سر الصورة..!!:

مات أشرف مروان.. وحتي اللحظات الأخيرة من حياته ظل يحمل في جيبه صورة فوتوغرافية تسجل لحظة مهمة جداً في تاريخه.. وهى اللحظة التى منحه فيها الرئيس السادات وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.. وعندما تفجر ملف اتهامه بالعمالة للموساد كان لا يرد علي من يطالبونه بالدفاع عن نفسه.. بل يكتفي فقط بإخراج الصورة من جيبه في دلالة علي أن الرئيس السادات لو كان يشك فيه ولو للحظة واحدة لما منحه هذا الوسام..

لماذا لم يعد إلى مصر؟؟..!!

وقبل أن نتحدث عن ملابسات الوفاة يهمنا أن نعرف لماذا بقي أشرف مروان في لندن رغم تصريحه السابق للمقربين إليه بشعوره بوجود مخطط لاغتياله؟؟ وهى نقطة غير مفهومة وغامضة.. وتحتاج إلي توضيح وإجابة.. فلماذا فضل البقاء هناك مع إدراكه أنه من السهل اغتياله فى أية لحظة؟.. لماذا لم يعد إلي مصر؟.. هل لم يكن يشعر بالاطمئنان علي حياته داخل وطنه؟.. أم أن ظروفه الصحية التى كانت تستدعى فى أيامه الأخيرة تركيب دعامات وتغيير ثلاث صمامات بالقلب مرةً واحدة.. هي التى حالت دون ذلك..

بعض المقربين منه يؤكدون أنه كان بالفعل ينوى العودة إلى مصر والإقامة النهائية بها.. خاصةً بعد أن وصلته دعوة رسمية من الرئيس مبارك لحضور حفل زفاف ابنه جمال.. والاستقبال الذى وجده فى انتظاره من زوجته وأولاده وأحفاده والذى جعله يشعر بالحنين للجو الأسرى الذى عاش معظم حياته يفتقده.. وبخصوصية أكثر عندما صدرت تعليمات عليا لإدارة مطار القاهرة الجوى بفتح قاعة كبار الزوار للرجل واستقباله بشكل خاص.. وأنه بدأ بالفعل يستعد لذلك وأرسل بعض الشنط الخاصة به إلى مصر بها بعض أوراقه وملفاته الخاصة..

* * *

موت غير واضح الأسباب..!!

على كل حال وبعد تحقيق مبدئى لم يستغرق أكثر من ثلاثة أيام وهى سرعة غير مسبوقة فى مثل هذه القضايا اختار البوليس البريطانى " اسكوتلاند يارد " وصف «موت غير واضح الأسباب» ليجعله عنواناً لملف مصرع أشرف مروان.. وأعلنت الشرطة البريطانية أنها تستبعد أية شبهة جنائية فى الحادث.. وأن الاحتمال الأقرب هو الانتحار.. وذلك قبل إحالة الملف إلى ما يعرف هناك باسم «القاضى الطبى» [1].. وبعد أن تم فحص الجثة بواسطة أحد الأطباء الشرعيين بمستشفى " ويست مينستر " جاء التقرير الطبى المبدئى ليشخص الوفاة بأنها حدثت بسبب كسوراً متعددة بالجثة نتيجة السقوط من مكان عالى أدى أيضاً إلى انفجار فورى فى الشريان الأورطى بالقلب..

* * *

ليست مفاجأة..!!

فهل كان مصرعه بهذه الطريقة الدرامية مفاجأة؟؟

الحقيقة ليست كذلك حتى بالنسبة إليه هو شخصياً.. حيث أكد لبعض المقربين منه أنه معرض للتصفية فى أية لحظة.. وأنه يعيش آخر أيامه [2].. والمؤكد أن هناك شواهد قوية دفعته لهذا الشعور.. تمثل فى مجموعها سيناريوهات مختلفة لإحتمالات الوفاة.. نناقشها كلاً على حدا..

---

1 - وهو الشخص المعنى هناك بالفصل فى مثل هذه القضايا.

2 - فى تصريحات خاصة لـ جريدة «الشرق الأوسط» ذكر ذلك مصطفى رجب نائب رئيس اتحاد المصريين المغتربين مؤكداً أن مروان أخبر بعض المقربين منه بأنه «متخوف من أن يحدث لـه شيء».. كما ذكر برجمان المؤرخ الإسرائيلى لصحيفة هاآرتس بعد مصرع مروان أنه قال لـه ذات مرة: أنه يخشى على حياته من الاغتيال..

الإحتمالات الثلاث..!!

الحادث ككل لن يخرج عن كونه واحداً من ثلاث: -

1- الانتحار:.. وهذا لايحتاج إلى شرح..

2- القتـــل: ويحتمل أكثر من طريقة.. مثل الإجهاز عليه أولاً ثم إسقاطه فيما بعد.. أودفعه بقوة للسقوط من الشرفة.. حتى يبدو الأمر فى كلا الحالتين وكأنه انتحار.. واحتمال القتل رجحته فيما بعد مجلة " تايم " الأمريكية وإن كان بشكلٍ مختلف حيث أكدت أن هناك أشخاص مجهولون استدرجوا أشرف ثم قتلوه وألقوا بجثته أسفل البناية التى كان يقيم بها.. لكنها لم تقدم الدليل على ذلك.

3- القضاء والقدر: وآخر الاحتمالات أنه ربما يكون قد فقد وعيه أثناء وقوفه بالشرفة واختل توازنه فسقط..

الاحتمال الأخير نستبعده مؤقتاً.. ونتوقف عند الإحتمالين.. الأول.. والثانى.. ويهمنا أن نعرف أولاً بعض الروابط الأساسية التى تفرق بين توصيف أى حادث بالانتحار.. أو بالقتل.. وقبل أن نناقش هذه الاحتمالات لابد أن نتوقف قليلاً عند بعض الملاحظات الهامة..

الفرق بين الانتحار والقتل..!!

للتفرقة بين الاحتمالين يتم مقارنة طول المتوفى وارتفاع الشرفة التى سقط منها.. فكلما كان جسد المتوفى أقل طولاً من ارتفاع الشرفة كلما كان احتمال الانتحار مستبعداً.. والعكس صحيح.. وهو ما يتوفر فى حالة أشرف مروان.. فبرغم قامته الطويلة إلا أن الشرفة كانت عاليةً بقدرٍ كبير ويبلغ ارتفاعها عن أرضية الشقة 150 سم.. ويوجد عليها من الخارج قصريتّى زرع يحولان بينه وبين الوقوع بسهولة.. والشخص الواعى عندما يسقط من ارتفاع عالى فإنه يستخدم كلتا يديه أو إحدى قدميه ليستقبل بهما الأرض محاولاً أن يحمى رأسه بقدر الإمكان.. على عكس الشخص الفاقد

لوعيه الذى غالباً ما يقع على وجهه.. وهنا يجب الإشارة إلى ما قالته منى زوجته فيما بعد حيث صرحت بأن أشرف كان ممدداً على ظهره.. وجهه لأعلى.. مرتدياً بالطو أسود.. هكذا وجدت جثته ملقاةً على أرضية الشارع [1].. فهل لهذا من تفسير يساعد فى حل هذه القضية؟..

الفرق بين السقوط والإسقاط..!!

الطب الشرعى وضع قواعد للتفريق بين الاحتمالين.. فالسقوط بكل احتمالاته المشار إليها سابقاً يعنى في لغة رجال البحث الجنائى مزيجاً من الالتباس بين احتمالات الانتحار.. أو القتل العمد.. حيث تؤدى كل تلك الاحتمالات لأن تمتزج آثار الهجوم على جسد الضحية فى حالة إرغامه على الإسقاط مع آثار المقاومة التى يبديها الضحية مهما بلغت درجة ضعفه الجسمانى.. وتأتى إصابات وآثار الارتطام الشديد بالأرض ليتداخل كل هذا بشكل ينتج عنه غموض الرؤية ويصعب الفصل فيه مع المعاينة الأولى للحادث..

سوء الأحوال الجوية..!!

ولكى تتضح جميع معالم الصورة بكافة ملابساتها المحيطة بالحادث يجب الإشارة إلى نقطة أخرى هامة جداً.. وهى أن درجة الحرارة يوم وفاة أشرف مروان كانت تتراوح بين (9 و 10) درجات فقط.. وتخلل يوم الوفاة أسبوعاً عاصفاً وشديد المطر عاشت فيه العاصمة البريطانية موجة من سوء الأحوال الجوية راح ضحيتها ثلاث ضحايا.. بحسب ما ذكرته وأشارت إليه الصحف ووكالات الأنباء وقتها؟؟.. فهل يتفق هذا مع وقوف رجل كهل مصاب بالعديد من الأمراض فى شرفة منزله ليتحدث تليفونياً؟..

---

1 - جريدة الفجر القاهرية 2007/8/13

أين شرائط المراقبة..!!

ثم خطورة موقع منزلـه الذى يتوسط العديد من منـازل الشخصيات الهامـة والأسرة الحاكمـة فـى لنـدن بمـا يعنـى أنـه مراقـب أرضـياً ومـن خـلال الأقمـار الصـناعية بكـاميرات المراقبة التى تعمل (24) سـاعة فـى حـوارى وشـوارع وميـادين لنـدن الأقـل أهميـة مـن الحـى الذى كان يعيش فيه مروان فى العاصمة البريطانيـة.. فـأين الشـرائط التـى سـجلتها الكـاميرات الأرضية والأقمار الصناعية للمكان فى هذا التوقيت.. وأين شرائط كاميرات المراقبة التى كان يضعها فى العديد من أركـان شقته وتسجل أولاً بـأول كل مـا يـدور هنـاك؟؟ [1] أم أن أجهـزة الأمن البريطانية تتحفظ عليها وتخفيها لأسباب تعلمها هى فقط.. ونشير إليها فى نهايـة تناولنـا لاحتمالات الوفاة..

احتمال الانتحار..!!

ونعود للاحتمال الذى أشارت إليه تحقيقات الاسكوتلاند يارد فى البداية الأولى وهو الانتحار..

الثابت أن أشرف مروان كان حتى النهاية يمارس عمله بانتظام بما يتفق وما عرف عنه من انضباط شديد.. حتى وسط كل تلك الضغوط النفسية الرهيبة التى واجهها طـوال الأعوام الماضية.. وتحوله بشكل عام إلى «شبح» وصـورة باهتـة مـن شخصـيته القديمـة كرد فعل لأمرين: -

الأول: شـدة تـأثره الإنسـانى بمـا ينشـرعنه وتـروج لــه إسـرائيل مـن أخبـار وتقـارير صـحفية.. ونظرات الشك التى كان يلمحها فى عيون كل من يقابله.. وألقت به فـى دوامـة مـن الاكتئـاب الشـديد ممـا جعلـه عصـبياً.. شـديد الانفعـال والتـوتر.. وشـارد الـذهن بشـكل مستمر.. مؤثراً للصمت الذى التزم به تماماً حتى النهاية..

الثانى: تدهـور حالتـه الصـحية نتيجـة لقائمـة الأمـراض والعلـل التـى أنهكتـه وتكالبـت

1 - ذكر ذلك ابنه حمال مروان فى حديثه إلى جريدة أخبار الحوادث بتاريخ 5 يوليو 2007.

عليه من كل اتجاه ومن بينها السرطان الذى كان يعانى منه منذ وقت طويل..

فهل كان كل ذلك هو الذى دفعه فى لحظة يأس لينهى حياته بيده..

حكاية أجهزة التنفس..!!

والبعض قد يستخدم القصة التالية للاستدلال على نية أشرف مروان على الانتحار.. ففى نهاية اليوم السابق على مصرعه اهتم أشرف مروان بأن ينهى بنفسه تغليف جهازين منزليين كان يستخدمهما للتنفس الصناعى بعد أن تعرض منذ عدة سنوات للإصابة بجلطة فى المخ نتج عنها إصابته بمرض يعرف طبياً باسم" سليب إبنيا " يمنعه من القدرة على التنفس أثناء النوم.. الجهازين باهظى الثمن.. وكان يعنى الاستغناء عن هذا الجهاز ولو لليلة واحدة أن يموت مروان.. وقرر التبرع بهما لبعض المرضى المصريين ممن أصيبوا بمثل مرضه وقد لا يستطيعون تدبير ثمن مثل هذا الجهاز.. فيصبحون على مشارف الموت نياماً.. وضع الجهاز الأول فى حقيبة سوداء و بجانبه قناع التنفس المصنوع الخاص به.. الحقيبة الأولى كان مكتوباً عليها بالإنجليزية فى ورقة صغيرة بيضاء فوق يد الحقيبة «مستر مروان» وبنفس الطريقة أنهى وضع الجهاز الثانى فى حقيبة مماثلة لونها أزرق.. كان مكتوبا عليها «مروان» فقط [1].. فهل يعنى ذلك أنه كان ينوى الانتحار؟.. الذى يقطع الشك باليقين فى هذا الاحتمال هو أن مروان كان قد توافر لديه جهازاً أحدث يقوم بنفس الغرض.. ومن ثم لم يعد بحاجة إلى الجهازين السابقين.. وتؤكد روايات أخرى أنه قد تبرع بأجهزة مماثلة من قبل.. [2].. حيث يقول الدكتور سميح عامر أستاذ القلب المعروف بكلية طب قصر العينى والمستشار الطبى المصرى فى لندن.. أن أشرف مروان اتصل به وأخبره بأنه سوف

---

1 - عبد الله كمال " مجلة روز اليوسف ".. مصدر سابق

2 - المصدر السابق

يرسل لـه الجهازين مع السائق ليعطيهم بمعرفته لأى مريض يحتاج إليهما فى مصر.. وهو ما حدث بالفعل بعدها بوقت قصير..

البعض يؤيد..!!

يقول أحد المقربين من أشرف مروان وهو فى الوقت نفسه وثيق الصلة بأسرة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر [1].. إن ثبت انتحار أشرف فإن ذلك كان بمثابة تصرف متوقعاً منه بطريقة ما.. فقد ابتعد أشرف عن الجميع منذ فترة حتى المقربين منه.. وأصرَّ علي الإنكفاء علي ذاته.. ودخل فى دوامة من اليأس والإحباط والملل.. ولم يشأ إشراك أحد في معاناته..

والجميع يرفض..!!

برغم التصريح الخطير الذى ساقه الشخص السابق.. إلا أن الرجل لم يكشف عن أدلة قاطعة يؤكد بها كلامه فجميعها مجرد تخمينات ينفيها العديد من المقربين من أشرف مروان شخصياً ويعرفونه عن قربٍ شديد.. مثل " مصطفى رجب " نائب رئيس اتحاد المصريين المغتربين فى لندن الذى يستبعد هذا الاحتمال تماماً لطبيعة معرفته الشخصية بأشرف عن قرب وكيف أنه كان محباً حقيقياً للحياة.. مشيراً إلى أن هناك شكوكاً مؤكدة بين أفراد الجالية المصرية في بريطانيا بأنه «تم اغتياله».. وزوجته منى التى ترفض تماماً مجرد مناقشة هذا الاحتمال وتقول: " أشرف لا ينتحر.. أبداً.. أبداً.. أبداً.. فهو إنسان قوى وليس ضعيفاً.. كان ينوى أن يصحبنى معه فى رحلة الحج هذا العام ".. وتصفه بأنه كان إنساناً مؤمناً.. يصلى فروض ربه.. ويحج.. ويعرف دينه جيداً.. صابر صبر الجبال على مالاقاه فى حياته من صعاب لاتعد ولا تحصى.. وكان يواجه دائماً كل ذلك بشجاعة نادرة مؤكداً على ما سبق ذكره من أن مروان أخبر بعض المقربين منه بأنه «متخوف من أن يحدث لـه شيء» [2]

---

1 - فى تصريحات خاصة لـ مجلة « روزاليوسف» طلب المصدر الذى يعد حسب وصف الجريدة من الشخصيات المرموقة عدم الإشارة لاسمه.

2 - فى تصريحات خاصة لـ جريدة «الشرق الأوسط».

وذكر للبعض منهم أن هناك من يمشى وراءه ويتعقبه وقالها صراحةً لأحدهم: "هايقتلونى .."

* * *

كيف انتحر؟..!!

يقول بعض الشهود أنهم رأوه فى لحظاته الأخيرة وهو يروح ويجئ فى الشرفة متحدثاً فى تليفونه المحمول.. ثم فجأة ألقى بنفسه من الشرفة!!

شهادة مرفوضة..!!

وهذه الشهادة مطعون فى صحتها لأن أشرف مروان كانت حركته آواخر أيامه محدودة جداً.. فلم يكن يستطيع الحركة بسهولة وكان يعتمد على عكازٍ لا يفارق يده.. فكيف يتحرك بهذا الشكل..

الإنتحار مرفوض..!!

ثم لماذا اختار تلك الطريقة بالذات للانتحار.. ولماذا لم ينتحر مثلاً بإطلاق الرصاص على نفسه والتى كما يصف علم النفس أنها أداة انتحار لحظية يلجأ إليها الإنسان الذى تعرض لضغوط تجعله يقرر الانتحار لحظياً.. فيلجأ إليها كرد فعلٍ مباشر للتخلص من موقفٍ ما لا يستطيع مواجهته.. فما هو الموقف الذى تعرض له مروان وجعله يبادر بإلقاء نفسه من الطابق الخامس بالكيفية المشار إليها؟؟ وهو الذى كان يتحدث فى تليفونه المحمول بشكل طبيعى لحظة انتحاره مثلما يقول شهود الحادث.. إذن هذا الاحتمال مستبعد تماماً نظراً لطبيعة أشرف مروان الخاصة والتى أكدها كل المقربين منه ولو كان حدث فمن المؤكد أنه كان سوف يترك وراءه دليلاً ما على ذلك.. مثل رسالة لزوجته وابناءه.. أو للرأى العام يوضح فيها ما عانى طويلاً من كتمانه..

* * *

هل قتلته عصابات المافيا؟؟..!!

السيناريو الثانى يخرج من عالم تجارة السلاح وقوانينه التى لاترحم.. ذلك العالم الذى لا يعترف بالخطأ فالغلطة الأولى فيه.. هى الغلطة الأخيرة.. وكان الرجل بحسب ما يشاع حوله ضليعاً فى هذا العالم.. فهل كان مصرعه نتيجة لخلافاته وخصوماته الشخصية مع البعض من هؤلاء؟.. فالرجل تعامل مع العديد من الشخصيات العالمية وأجهزة مخابرات مختلفة.. وتجار سلاح ورجال سياسة ومال كبار [1].. وكل هؤلاء لا يتورعون عن تصفية من يتلاعب بهم.. وكان بعضهم على الأقل يرى أن أشرف مروان الذى كان يبدو وكأنه جهاز مخابرات يعمل فقط لحسابه الخاص و يريد أن يظل ممسكاً منفرداً بأطراف الحقيقة إلي النهاية هو بلا شك خطراً يتهددهم.. خاصةً مع ما يحتفظ به من تفاصيل خطيرة عن أعمال جرت في منطقة الشرق الأوسط وأوربا وإفريقيا.. وبما يملكه من أسرار ضخمة منذ عهد الرئيس جمال عبد الناصر إلي الرئيس الحالي حسني مبارك.. مروراً بالرئيس السادات.. يعرف متى يستخدم ما لديه من معلومات.. مما جعله بالنسبة لهم خطراً داهماً يجب القضاء عليه.. احتمال آخر وارد جداً.. وإن كان فى احتياج إلى شواهد وقرائن تؤكده أو تنفيه.. وبالرغم من ذلك يبقى قائماً.. فعصابات المافيا وتجار السلاح لهما سوابقهما الشهيرة والمشابهة فى مثل هذه الاغتيالات..

أسرار صفقة اليمامة..!!:

.. لكن من يملك أن يؤكد أنه كان هناك علاقة ما بين مروان وأساطين ذلك العالم الخفى.. حتى وإن تعامل الجميع مع هذا الفرض باعتباره أمراً واقعاً لايحتمل الشك.. خاصةً وقد ذكرته وأكدته العديد من الصحف والكتب العالمية التى حررها كبار الصحفيين والكتاب العالميين.. مثل سيمون ريجان الذى أشرنا إليه وإلى كتابه من قبل

---

1 - تبلغ خطورة تلك التجارة المحرمة من أن هناك دول وجماعات متمردة تتعامل مع سماسرة غير معلنين.. وتتوق لاقتناء أسلحة جديدة ومتطورة.. وغالبية تلك الدول والجماعات.. إما ممنوع عليها اقتناء أنواع معينة من السلاح.. أو محظور عليها الحصول علي الأسلحة أصلاً.. أياً كان نوعها.

وكان أحد أهم الصحفيين المقربين للأسرة المالكة.. وواحد من كبار الصحفيين العالميين المتخصصين فى متابعة قضايا وملفات المافيا وتجارة السلاح والاغتيالات السياسية حيث يشير لأهمية خاصة بوضعية أشرف مروان وسط مافيا تجارة السلاح خاصة في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا.. ويشير تحديداً إلى دور هام لأشرف فى صفقة خاصة مثيرة للجدل كان مردودها كبيراً على الصعيد الدولى وتتعلق بتوريد أسلحة من بريطانيا لدولة عربية آسيوية.. ونجحت أطراف لها مصالح في وقف التحقيقات الدائرة حول الصفقة في بريطانيا بتدخل مباشر من رئيس الوزراء الإنجليزي السابق " توني بلير " ويقصد بذلك الصفقة الشهيرة التى عرفت إعلامياً بإسم " صفقة اليمامة " والتى كانت بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية وهى الصفقة الأضخم فى تاريخ البلدين وأحيطت بشبهات فساد عديدة.. لكن كلا البلدين لم تكشفا عن أسماء المتورطين فى الصفقة التى تجاوزت مئات المليارات مما ينفى كونها من الأساس قد تمت عن طريق سماسرة أو وسطاء.. فمثل هذه الصفقات لاتتم إلا بين حكومات.. ووقتها قررت الولايات المتحدة فتح التحقيق في ملف القضية.. وهو قرار أخاف كثيراً من الوسطاء والسماسرة ورجالات السياسة في بريطانيا والشرق الأوسط..

رجل فوق العادة!!:

ويقول "سيمون" إن ما انتهي إليه من تحقيقات كشف لـه أن "مروان" كان رجلاً فوق العادة.. وغامضاً.. وعليه الكثير من الملاحظات فيما يتعلق بأنشطته الاقتصادية.. خاصة الوساطة في العديد من صفقات السلاح المشابهة.. والتحالف مع شخصيات بالغة الأهمية من دول وأقطار عربية وغير عربية والذين مازال بعضهم في السلطة في بلاده لتنفيذ أعمال شديدة السرية ومحكمة التنفيذ لتصفية بعض العرب والمصريين والأجانب كانوا يتصارعون معهم ما بين لندن وباريس وواشنطن للحصول علي صفقات سلاح وتوريدها إلي عدة بلدان وجماعات.. وأنه كان يقوم بذلك مع آخرين بأعصاب باردة هو

وحلفاؤه باحتراف عال المستوي.. ولا يتركون وراءهم أية آثار من الممكن أن تقود إليهم..

"غموض مروان"..!!:

ويشير المحقق الصحفي البريطانى في الفصل الذي أفرده في كتابه تحت اسم "غموض مروان".. إلي أن عدد من أولئك التجار كانوا يلتفون حول الحظر الأمريكي علي توريد السلاح المفروض علي بلدان وجماعات في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا.. وأنهم استخدموا اثنين من عملاء المخابرات الأمريكية للتغطية علي عمليات نقل السلاح بشكل غير قانوني بما يخدم الإرهاب.. ما أدي إلي إدانة القضاء الأمريكي للعميلين.. والحكم عليهما بالسجن.. في قضية يقول الكاتب: أن "مروان" كان علي صلة بها وأنه قد صدر بحقه أمر توقيف من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.. ولا يمكن له أن يدخل تلك البلاد.. لا هو ولا صاحبه مبعوث الحاكم العربي المشار إليه..

هل قتله الموساد؟؟..!!:

السيناريو الثانى هو الأكثر قبولاً بين المتابعين لملف الرجل نبدأه بالإشارة لمصادفة غريبة يشير إليها عادل حمودة فى متابعته للقضية.. فقد ذكر حمودة أنه في نفس الشهر الذي لقى فيه أشرف مروان مصرعه وقبل أن يلقى حتفه بأيام قلائل نشرت مجلة " أنتيلجنس " [1] المتخصصة فى متابعة الملفات المخابراتية مقالاً لكاتب إسرائيلى يوصف بأنه أهم زعيم يهودي في العالم يدعى " مالكوم هونلين " [2].. يتمتع بعلاقات قوية مع العديد من أجهزة المخابرات فى العالم.. فى مقدمتها بالطبع الموساد و(C.I.A) والمخابرات البريطانية مما منحه فرصة هائلة لكشف ما يصعب علي غيره التوصل إليه من أسرار يستحيل الاقتراب

---

1 - تعنى بالإنجليزية مجلة " المخابرات " وهي مجلة ربع سنوية لها موقع خاص علي الإنترنت.

2 - و يشغل فى نفس الوقت منصب نائب رئيس اتحاد المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الذي يضم 52 منظمة يهودية نشطة هناك.. نال شهادته في العلوم السياسية من جامعة المعبد.. ونال درجة الماجستير من جامعة بنسلفانيا.. ونال شهادة عليا متخصصة في الأمن القومي من معهد الشرق الأوسط التابع لنفس الجامعة.. ولا تكف إسرائيل عن تكريمه لجهوده غير العادية لمساندتها.

منها.. المقال يحمل عنوان " لغز مروان " تعرض فيه " هونلين " لـ لشخص أشرف مروان.. وعرض فيه القصة كاملةً بما يتفق ووجهة النظر الإسرائيلية بالطبع.. فهل كان ذلك التوقيت مجرد صدفة؟.. أم كان تمهيداً للتخلص من أشرف مروان؟.. سؤال هام قد يؤكد الاتهام الذى يروج لـه الجميع..

لماذا الآن؟؟..!!:

سؤال مهم.. لماذا تغتاله إسرائيل الآن؟.. ولم تسع لذلك بعد انتهاء حرب أكتوبر مباشرةً.. وهذا الطرح قد يؤكد اتهام الموساد ومن الممكن أن ينفيه بدعوى أنهم لو كانوا يريدون اغتياله وتصفيته لسعوا إلى ذلك منذ زمنٍ طويل وبمجرد تأكدهم من حقيقة الدور الذى لعبه ضدهم.. ويمكن الرد على هذا بأنهم لم تواتهم الفرصة فى حينها لفعل ذلك.. أو أنهم أرادوا حرقه وتصفيته معنوياً أولاً ثم تصفيته نهائياً فيما بعد وإلقاء شبهة القتل على المخابرات المصرية التى تخيلوا أنها ستلهث وراء الرجل فور ترويجهم لقصتهم المزعومة لتصفيته عقاباً لـه على خيانته لوطنه وحتى تدفن معه حقائق وأسراراً لا تريد الكشف عنها..

احتمال مرفوض!!:

وهو الإحتمال الذى سوف يعمل الموساد فيما بعد للترويج لـه إمعاناً فى حبك ادعاءاته التي روج لها.. ونرد أيضاً على هذا الاحتمال بأن سياسة المخابرات المصرية لم تعرف طيلة تاريخها مبدأ تصفية الخونة.. وإنما تترك الأمر للقضاء المصرى بعد إلقاء القبض على من يثبت تجسسه لصالح أية جهة أجنبية والأمثلة على ذلك كثيرة.. كما تأتى شهادة اللواء صلاح الدين المحرزي وكيل جهاز المخابرات العامة الأسبق [1] لتنفى ذلك الاحتمال من جانب المخابرات المصرية.. حيث ذكر المحرزي أن أشرف مروان كان ضابطاً في المخابرات المصرية.. وليس مجرد عميلاً لها.. أوضحها.. كما يردد

---

1 - فى تصريحات خاصة لـ جريدة «المصري اليوم» عقب دفن جثمان أشرف مروان

البعض.. وأنه الذى عرض علي السادات فكرة تطوير التعامل مع المعلومات.. وأسس سكرتارية للعلاقات الخاصة سماها «سكرتارية الاتصالات الخارجية» ونجح في ذلك ببراعة.. مما جعل السادات يصدر قراراً يعطي أشرف مروان الحق في الاتصال بكل رؤساء وأجهزة مخابرات فى العالم وتلقف مروان هذا القرار وفتح مكاتب للعلاقات العامة في كل الدول..

سر الخادمة..!!:

وتردد احتمال آخر بخصوص الموساد يدور حول علاقة غامضة جمعت بين خادمته بلغارية الأصل التى عاشت تخدمه أكثر من عشرين عاماً ووصلته معلومات من مصدرٍ ما أنها تستقبل فى بيته أثناء غيابه شخصاً تجمعها به علاقة خاصة.. وذكرت بعض المصادر أن هذا الشخص ربما يكون لـه علاقة ما بجهاز المخابرات الإسرائيلية.. وأنه ربما استغل علاقته بالخادمة فى الدخول إلى المنزل هو وآخرون وقاموا بإلقاء أشرف مروان من شرفة المنزل.. وردد البعض أنه ربما تم تجنيد هذه الخادمة لتدس لأشرف نوعاً ما من السم البطئ الذى يطلق عليه " السم البيضاوى " وأعلن الموساد من خلال القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلى عن توصله لتركيبة خاصة به تجعل من يتناوله يصاب بدوار عند نظره من الأماكن العالية ويغشى عليه فيسقط.. وأن هذه التركيبة الخاصة لا تترك أثراً فى جسد القتيل ولا فى التحاليل الطبية المعتادة والتى يقوم بها الشخص العادى من وقتٍ لآخر.. ويتم دسها فى المشروب الذى يتناولـه الضحية كل عشرين يوما.. ومما يعزز احتمال تورط الخادمة فى مصرع أشرف أنه كان قد بدأ يتشكك فيها وأمر بإنهاء عملها معه وإرسالها للعمل بقصره فى أسبانيا وأرسل بالفعل حاجاتيها الخاصة إلى هناك تمهيداً لتسفيرها بعد أن رفضت زوجته منى عبد الناصر شكوكه فيها وأصرت على بقاءها فى خدمتها [1]..

1 - بحسب ما ذكره عادل حمودة فى مقاله المنشور بجريدة الفجر عدد الإثنين 23 يوليو 2007.

أو ربما يكون قد تناول السم فى لوبى نادى السيارات الذى اعتاد الذهاب إليه يومياً سيراً على الأقدام ليتناول هناك مشروبه المفضل " الإكسبريسو " كما أن شكوك أشرف مروان فيمن حوله كانت قد زادت فى الشهور الأخيرة من حياته بشكل غريب فقد أنهى خدمة سكرتيرته الخاصة عزة فوزى عبد الحافظ ابنة السكرتير الخاص للرئيس السادات والتى عملت فى خدمته لأكثر من عشرين عاماً بعد أن ترك العمل بالهيئة العربية للتصنيع وكان يثق فيها هى وزوجها عصام شوقى الذى كان يعمل أيضاً معه ويشاركه بنسبة بسيطة فى أحد مصانع البوية التى يملكها فى إيطاليا ثقةً مطلقة.. لكنه فجأة استغنى عن خدماتهما معه ومنحهما مكافأةً مجزية.. ربما حرصاً على أن يكتم الاثنان مابحوزتهما من أسرار خاصة به..

الخيانة الكبرى..!!:

أما أهم من كان محلاً لشكوكه فقد كان صديق الطفولة بالنسبة له ومحل ثقته المطلقة على مدار عمره وهو شخص يدعى " حسام رشدى " كان جاره فى منزل والده الواقع بشارع الحكماء بمنطقة مصر الجديدة.. وكان يعمل ضابط شرطة عندما استغل أشرف علاقته بالسادات وتم نقله إلى شرطة رئاسة الجمهورية.. وعندما انتقل أشرف للعمل بالهيئة العربية للتصنيع اصطحبه معه مديراً لمكتبه.. ثم قدم استقالته بعد أن تركها أشرف وتفرغ للعمل معه.. وفى الشهور الأخيرة بدأ يشك أن رشدى يسرب أخباره إلى بعض أعداءه فى مصر فأنهى خدماته هو الآخر.. وعزز شك مروان فى الرجل أنه بمجرد تركه للعمل معه أسند إليه على الفور منصباً مرموقاً بوزارة السياحة المصرية..

* * *

وفى حالة التثبت من أن الموساد وراء مصرع أشرف مروان تبقى كل تلك الاحتمالات لتلقى للأسف الشديد بالمسؤولية علي عاتق الأجهزة المصرية وتظهرها بمظهر العاجز عن حماية واحد من أهم رجالها.. خاصةً أن ابنه جمال مروان ذكر أن

أباه قد تلقى تهديدات صريحة بالقتل من إسرائيل قبل مصرعه بيومين فقط [1].. فهل لم يخبر مصر بذلك؟..

المفاجأة..!!:

أن كاميرات المراقبة سواء بالعمارة التى وقع بها الحادث.. أو بنادى السيارات القريب من المكان.. تم تعطيلها جميعها لحظات وقوع الحادث.. فعند تفريغ شرائط المراقبة وقت وقوع الحادث كانت الصورة سوداء تماماً.. بحسب ما ذكرته منى عبد الناصر فيما بعد.. فماذا يعنى هذا؟.. لا يعنى سوى احتمال واحد وهو أن الحادث كان مدبراً.. ولم يكن بمحض الصدفة سواء انتحار.. أم قضاءً وقدراً..

والمفاجأة الأكبر..!!

ذكرتها فيما بعد صحيفة التايمز البيرطانية بإسناد إلى أحد مصادرها السرية الخاصة في "الآسكوتلانديار" البريطانية.. وقالت أن أحد شهود العيان يسكن في شقة مقابلة لشقة "مروان" شاهد شخصين يرتديان ملابس رسمية يقفان بجوار أشرف في الشرفة وأنهما قاما بدفعه من أعلى ليسقط في حديقة المنزل.. وذكر الشاهد أن ملامح الشخصين تشبه ملامح مواطنى البحر المتوسط.. وأنهما وقفا ينظران للرجل أثناء سقوطه من الشرفة بكل هدوء قبل أن ينصرفا من مكانهما..

ومفاجآت أخرى..!!

أين اختفى الحداء الطبى الذى كان يلبسه أشرف لحظة العثور على جثته.. وهذه الجزئية تحديداً تطرح أخطر معطيات الملف.. لماذا؟.. لأنه لو سلمنا باحتمال انتحاره ففى هذه الحالة سوف يكون اضطر لتسلق الشرفة.. والمرور بحذائه على أصيص الزرع الذى يتوازى مع الشرفة بالعرض.. ثم وقف على جهاز التكييف ليتمكن في النهاية من استقبال الشارع ثم القفز لأسفل.. وهذا يعنى أنه لابد وإن يعلق بالحذاء بعضاً من الطين الموجود

---

1 - أخبار الحوادث 5 يوليو 2007.

بأصيص الزرع.. وينطبع حذاءه على جهاز التكييف.. إذن الحذاء هو أهم أدلة القضية.. لكن أين اختفى؟.. وقد ذكر في محضر الفحص الأولى للجثة الموقع من قبل رجال الشرطة البريطانية الذين قاموا بالفحص الأولى بمعاينتها قبل رفعها من مكان الحادث أنه كان يرتدى حذاءاً أسود..

والخلاصة..!!

أنه بعد الأدلة السابقة لا مجال على الإطلاق لمناقشة إحتمالى الإنتحار.. أو القضاء والقدر.. فالرجل قتل.. على يد رجلين أغلب الظن أنهما يتبعان الموساد.. جهاز المخابرات التابع لدولة تقع على حوض البحر المتوسط.. رجاله يحملون ملامح مواطنى البحر المتوسط.. صاحب المصلحة الأولى في تصفية رجل كانت مذكراته التى تكشف عجزهم.. وفشلهم.. على وشك الخروج للنور.. فكان لابد أن يموت الرجل.. ويذهب بغير رجعة بما يحمله من أسرار.. وما يذكرهم خداعه لهم من عجز.. وفشل غير مسبوقين..

* * *

خاتمــة

لندن.. عاصمة الضباب والموت الغامض

السير على حافة الهاوية..!!:

لكن مازال فى الملف الكثير فبقدر ما كان موته غامضاً.. بقدرما كانت حياته أكثر غموضاً.. فالرجل الذى يعيش حياةً مثل مروان.. لابد أن تكون نهايته متسقة مع أسلوب حياته وطبيعتها.. وبتعبير أحد رجال الأمن السابقين أن أشرف مروان منذ ظهرعلي مسرح الحياة العامة بزواجه من كريمة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سار على حافة الهاوية.. باذلاً جهداًَ خرافياً.. للاحتفاظ بتوازنه بقدر الإمكان على حافة الأحداث.. دافعاً الثمن فيما مرّ به من تجارب مريرة من تماسكه النفسي مما أثر بلا شك علي تركيبته الخاصة..

سر الموت الغامض بعاصمة الضباب..!!:

عموماً انضم أشرف مروان برحيله بهذا الشكل الدراماتيكى إلى قائمة المصريين من ضحايا الموت الغامض فى عاصمة الضباب.. ومن أطرف التعليقات التى قيلت عن ذلك [1]:

(إلى جميع المعارضين واللاجئين والمحتمين بعاصمة الضباب.. لاتسكنوا لندن.. لأنها مسكونة بشرفات قاتلة..!!)

فهناك كتبت كلمة النهاية في حياة الأديب العربى الشهير " عبد الرحمن منيف " الرجل الذى فضحت كتاباته الروائية ما يدور في السجون العربية ببغداد والرياض وعمان وغيرها من جرائم.. وهناك اغتيل " ناجى العلى " رسام الكاركاتير الفلسطينى الشهير الذى عرى هو الآخر برسومه الشهيرة خذلان كل الأنظمة العربية وتفرق دمه بين منظمة التحرير الفلسطينية.. والموساد.. والبوليس البريطانى.. وهناك أيضاً مات " يوسف إدريس ".. و"نزار قبانى ".. وغيرهم.. وإن اختلفت أسباب وفاة كل منهم مابين

---

1 - جريدة الكرامة عبد الوهاب داود عدد 2 يوليو 2007.

الوفاة الطبيعية للأسماء الأخيرة.. والموت الغامض والمجهول للأسماء الأولى..

هل قتل أشرف الليثى والسندريلا؟؟..!!:

وقبل أن يكون أشرف مروان هو الثالث فى قائمة ضحايا الموت الغامض بانجلترا.. كان متهماً بقتل الليثى ناصف.. وسعاد حسنى.. كما أكد ذلك كتاب " حرب يوم الغفران" الذى حاول التأكيد على أن أشرف مروان كان عميلاً إسرائيلياً خالصاً وأنه كان ضليعاً فى التخطيط والتمويل للعديد من العمليات الإرهابية الأخرى.. واختص بالذكر تصفية الليثى.. وسعاد حسنى التى كانت إحدى الفنانات التى تم استغلالهن بواسطة المخابرات المصرية فى الستينات أيام رئاسة صلاح نصر للجهاز.. دون أن يشير الكتاب لدليل واحد يؤكد ما زعمه مؤلفه سوى أنها مجرد استنتاجات..

ثالث ثلاثة..!!:

إذن هناك ثلاثة من أهم الشخصيات المصرية المعاصرة كل فى مجاله لقوا حتفهم بنفس الطريقة.. السقوط.. أوالإسقاط من شرفة أحد المنازل.. في ذات الدولة بريطانيا.. وفى نفس العاصمة لندن.. وفى حالتين منهما كانا فى نفس المكان أسفل نفس البرج ستيوارت المشؤوم.. وكانت كلمة السر دائماً في حالات الموت الغامضة هي عزم المتوفىّ على كتابة مذكراته.. وهو أمر محير للغاية.. ويلقى بنا وسط ظلال معتمة من الإثارة والدهشة بلا حدود.. وكأننا نعيش حالة مشاهدة استثنائية من فصول مسرحية تراجيدية مستمرة.. فأشرف مروان الذى رحل ومعه العديد من الوثائق والمعلومات والأسرار التي كانت معرفتها بلا شك خطراً شديداً على الكثيرين ماهو إلا فصل جديد من تلك المسرحية الغامضة.. ومجبرون نحن كمصريين وعرب على أن نتابع فصولها من وقت لآخر.. ليس لنا خيار حتى فى أن نذرف دموعنا وقتما نريد.. أو أن نضحك.. ونتفاعل مع الأحداث وفقاً لكيفية تواصلنا معها.. وعند إسدال الستار عقب كل فصل من فصولها ننظر فى عين بعضنا البعض.. نتسائل جميعنا فى صوت واحد.. وبنبرة يمتزج

فيها الحزن بالألم.. وعلى من ستدور الدائرة.. فها هو أشرف مروان ينضم لليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري إبان حكم الرئيس السادات.. والفنانة سعاد حسني.. وعلى شفيق مدير مكتب عبد الحكيم عامر.. ويحيى المشد.. وعبد الحكيم عامر.. ولاعب الكرة جمال الجندى وغيرهم [1] ممن كان لا بد من القضاء عليهم.. لأسباب بقدر ما تبقى في علم الغيب.. بقدر ما تخلق ساحةً للمنظرين والمحللين للإدلاء بتفسيراتهم..

الليثى أولاً..!!:

فالليثي ناصف اختاره الرئيس عبد الناصر لتأسيس وقيادة الحرس الجمهورى لثقته الشديدة في شخصه.. ثم استمر في منصبه أيام السادات.. بعدها قام بدوره الشهير فى اعتقال نجوم مراكز القوى بدايةً من الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة وعلى صبرى.. وسامى شرف.. وأحمد كامل المسؤول عن المخابرات.. وشعراوى جمعة.. ولبيب شقير.. وعبد المحسن أبو النور.. وغيره.. وذهب إلى السادات فى منزله ليؤدى له التحية العسكرية ويطمأنه مؤكداً له أنه أصبح منذ تلك الليلة حاكم مصرالأوحد ويستطيع أن ينام ملئ جفونه.. فالآن فقط يستطيع أن يحكم مصر.. فكافأه السادات بتكريمه عام 72 ومنحه رتبة الفريق وعينه كبيراً للياوران وقائداً للحرس الجمهورى.. بعدها عزله من منصبه ونقله من السلك العسكرى إلى السلك الدبلوماسى وعينه سفيراً لمصر بلندن.. هذا الرجل عثر عليه صباح الرابع والعشرين من أغسطس 1973 جثةً هامدةً أسفل عمارة «ستيورت تاور».. بعد أن سقط من الدور العاشر حيث كان يسكن هناك.. وكان في هذه الفترة يعالج من تكرار إصابته بدوار شديد يعتريه من وقتٍ لآخر.. وكانت زوجته في إحدى الغرف بالشقة في الوقت الذى شعرت بتأخر خروجه من الحمام الذى كان قد دخله منذ وقت.. فطرقت عليه باب الحمام أكثر من مرة

---

1 - الأسماء الثلاثة الأخيرة توفيت فى أماكن أخرى غير العاصمة البريطانية وإن اشتركت مع باقى الأسماء فى غموض مصرعها وما كانت تملكه من أسرار وملفات خطيرة..

ولما لم تسمع إجابة فتحت باب الحمام فلم تجد زوجها.. ظنت في البداية أنه قد خرج وارتدى ملابسه دون أن تشعر به ونزل ليمارس رياضة المشى التى كان معتاداً عليها في هذا التوقيت من كل يوم.. بعدها بدقائق سمعت طرقاً على الباب وعندما ذهبت لتفتح فوجئت بضابط من الشرطة البريطانية يخبرها بالعثور على جثة زوجها أسفل البناية اللندنية الشهيرة.. وعندما هرولت الزوجة إلى أسفل شاهدت جثة زوجها والشبشب الذى يرتديه في قدميه كما هو.. ولم تجد آثاراً لأية دماء على الجثة [1].. التبرير الشائع فيما بعد أن الليثى كان يقف في شرفة الشقة وأصيب بدوار شديد أفقده توازنه فسقط من الشرفة.. التصور غير الرسمى للحادث على لسان الزوجة أن هناك مجهولون اختفوا ليلة الحادث في مكان ما بالشقة وفى الصباح عندما واتتهم الفرصة تمكنوا من الرجل ووضعوا كمامة بها مخدر على أنفه ثم سحبوه إلى أسفل حيث قتلوه بطريقةٍ ما وألقوه حيث عثر فيما بعد على جثته.. كما أشارت بعض الكتابات فيما بعد أن الشقة كانت تتبع جهازاً أمنياً مصرياً..

ثم السندريلا..!!:

وبالطريقة نفسها السقوط" أو الإسقاط ".. ومن الدور السادس هذه المرة.. لقيت الفنانة سعاد حسني حتفها.. ففى صباح يوم عشرين يونيو 2001 عثرعلي الفنانة التى كانت وما زالت تحتل من عقل ووجدان كل عربى ما لا يستطيع الزمن أن يمحوه جثةً هامدةً أسفل نفس العمارة «ستيورت تاور» التى كان يقيم وتوفى بها الليثى ناصف..

والأسباب مجهولة..!!:

الرأى العام يرفض الاقتناع بإقدام أى من الأسماء السابقة وفى مقدمتها أشرف مروان على الانتحار.. بل ويؤكد وجود مؤامرة ما وراء كل حادث من الثلاثة.. حتى إذا

1 - بحسب ما ذكره عادل حمودة في كتابه " من قتل الليثى ناصف".

سلمنا بأن لكل واحد منهم أسبابه ودوافعه التى قد تدفعه للانتحار.. فهناك من قال بأن الليثي ناصف كان مريضاً.. ومر بتراجعات وظيفية حادة بعد أن كان قائد الحرس الجمهوري واللاعب الأهم في تصفية ما عرف بمراكز القوى في بداية عهد الرئيس السادات.. وفجأة وجد نفسه خارج المضمار تماماً فى الوقت الذى كان يتخيل فيه بأنه أصبح الأقرب والأهم عند السادات الرجل الذى قام بحمايته وسلم لـه مصر على طبق من ذهب فوجئ بأنه يقصيه تماماً عن الطريق بعد صدامهما الشهير.. وعلى حسب ما أكده الدكتور محمود جامع أحد الأصدقاء الشخصيين للرئيس السادات في مذكراته الشخصية أن الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري أنقذ السادات من عدة محاولات اغتيال.. وأنه أنقذ مصر كذلك من حرب أهلية حينما طلب الليثي من السادات إصدار قرار بأن تكون تبعية الحرس الجمهوري لرئيس الجمهورية وحده.. ويتم عزله تماماً عن الجيش.. وهوما أتاح لليثي قدرة التحرك والدخول بقوة للقبض على مراكز القوى.. وقام الفريق الليثى ناصف بتقديم استقالته من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهوري.. بعد أن أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان.. بحيث لا يتصل كبير الأمناء وقائد الحرس الجمهوري بالرئيس إلا عن طريقه.. وهو ما لم يرض الليثي.. وقبل السادات استقالته على الفور.. كما أن سعاد حسني التى انضمت إلى تلك القائمة رغم أنها ليست شخصية سياسية دخلت في أزمة مع نفسها أمام المرآة فرفضت صورتها التى لم تكن تتخيل أنها من الممكن أن تصل إليها فى يوم من الأيام.. باختصار رفضت الاعتراف بواقعها الجديد ومتغيرات الزمن.. وتكالب على «السندريلا» المرض والغربة وضيق ذات اليد.. فمهد كل ذلك لها اتخاذ قرارها بالانتحار.. وفوجئنا بها جميعاً وقد سقطت من شرفة منزل صديقتها " منى يسرى " التى كانت تقيم لديها كضيفة بعد خروجها من المستشفى حيث كانت تعالج من آلام الظهر وحالة الاكتئاب التي تعانيها منذ عام 1988.. ورغم أنه لم يتم حتى الآن الكشف أوالتوصل إلى الأسباب الحقيقية لوفاة

سعاد حسني.. إلا أن هذه القضية صاحبها جدل وأحاديث تقول أنها كانت على وشك كتابة مذكراتها.. وأنها تنوي كشف الكثير من الأسرار حيث كانت على علاقات وثيقة برجال كثيرين في عهد الرئيس عبد الناصر.. كما أن التحقيق التلفيزيونى من مكان الحادث الذى صوره "سمير صبرى" يؤكد بحسب شهادة الشهود أن جثة سعاد كانت حال العثور عليها بدون نقطة دم واحد.. ولا يوجد بها أية كسور..

وعلى شفيق..!!:

ومن الأسماء الشهيرة التي لقيت حتفها في لندن أيضا.. ولكن عن طريق القتل المباشر.. ولم يعرف أحد حتى الآن من الجاني ولا الدوافع الحقيقية وراء قتله العقيد "علي شفيق " الياور الخاص بالمشير عبد الحكيم عامر وكاتم أسراره.. وزوج الفنانة " مها صبري " وتعرف عليها مصادفةً في حفل عيد ميلاد الفنان أحمد رمزى الذى أقامته له زوجته آنذاك الفنانة نجوى فؤاد في ملهى الأوبرج بالهرم.. وكان على شفيق وقتها متزوجاً من سيدة أخرى ولديه منا ولدين.. ولما بدأت تنتشر أنباء علاقته بها خيره عبد الحكيم عامر بين وظيفته واستمراره في علاقته بها.. فاختارها وتزوجها وضحى بالكثير من أجلها كما ضحت هي أيضاً بالفن الذى كانت تعشقه بلا حدود.. وتلقت عام 1977 عرضاً كبيراً من فندق" الأمبريس " بلندن للغناء هناك.. وبعد إلحاحٍ شديد من جانبها وافق على شفيق خاصةً أنه كان قد بدأ يستقر هناك هو الآخر نظراً لطبيعة عمله في تجارة السلاح.. وفى الصيف من نفس العام فاحت رائحة تعفن شديدة من شقة على شفيق واستدعى الجيران الشرطة التى قامت بكسر الباب لتفاجئ بجثة الرجل في حالة تعفن شديد بعد أن مرّ على مصرعه عشرة أيام كاملة.. وجاءت تحريات الشرطة فيما بعد لتؤكد أن الرجل الذى تم قتله بضربه بآلة حادة على رأسه قتل أثناء إقامة حفل صاخب بالعمارة وذلك حتى لا يسمع أحد صراخه.. الرجل كان محلاً للكثير من الإدعاءات والأقاويل.. وكان يحمل فى جعبته الكثير من الأسرار الخاصة والمتعلقة

بفترة هامة من تاريخ مصر لحساسية موقعه وقربه من المشير عبد الحكيم عامر.. وكان بجوار الجثة شنطة بها مليون دولار يقال أنها كانت عمولته فى صفقة سلاح.. فى دلالة واضحة على أن من قتله لم يقتله بدافع المال وإنما كان لـه دوافعه الأهم.. وهى طريقة عصابات المافيا المشهورة فى التعامل مع من يخرج عن قواعدهم.. التى قيل أنه خالفها ومرر صفقة أسلحة لإحدى الدول دون أن يخطرهم بها.. فقتلوه عقاباً لـه على ذلك.. كما تردد أيضاً أن المبلغ كان عربون اتفاق بينه وبين إحدى دور النشر العالمية لنشر مذكراته..

هل يصبح الأخير؟؟..!!:

وأخيراً ونتمنى أن يكون آخراً أشرف مروان بالأسباب والكيفية التى أشرنا إليها.. وجميع هذه الحوادث باستثناء الأخيرة بالطبع والتى مازالت فى مرحلة التحقيق قيدت جميعها إما بانتحار صاحبها مثلما حدث فى واقعة الليثى وسعاد حسنى.. أو ضد مجهول مثلما حدث فى واقعة على شفيق.. فيا ترى أى مصير ستختاره السلطات البريطانية لإغلاق ملف أشرف مروان؟.. هذا مالا يعلمه أحد حتى الآن.. ولكن نتمنى ألا يكون مثل مصير سابقيه.. فالرجل يستحق نهاية أخرى مختلفة.. مثلما كان هو نفسه طيلة حياته شخص آخر مختلف..

* * *

أهم المراجع

1- السادات الحقيقة والأسطورة .... موسى صبرى

2- البحث عن الذات .... مذكرات الرئيس السادات

3- عرفت السادات .... المذكرات الشخصية للدكتور محمود جامع

4- سيدة من مصر .... مذكرات السيدة جيهان السادات

5- لمصر .. لا لعبد الناصر .... حسنين هيكل

6- حوار وراء الأسوار .... جلال الدين الحمامصى

7- من قتل الليثى ناصف .... عادل حمودة

8- سنوات وأيام مع عبد الناصر .... المذكرات الشخصية لسامى شرف

9- من يجرؤ على الكلام .... بول فندلى

10- حوار مع الفريق سعد الدين الشاذلى .... محمود فوزى

11- وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة .... أحمد بهاء الدين

12- تجربتى .... عثمان أحمد عثمان المذكرات الشخصية

* * *

دوريات ومترجمات

1- دوريات صحفية (الأسبوع – الفجر – صوت الأمة – الدستور – روز اليوسف الجريدة – روز اليوسف المجلة – جريدة الشرق الأوسط – الحياة اللندنية – الغد – المصرى اليوم – الطريق – الكرامة – العربى – أخبار الحوادث)

2- أرشيف " الأخبار – الأهرام "

كتب أخرى للمؤلف

1- إلى أين يا عرب ؟؟!

2- هكذا تحدث العقاد " قراءة فى فكر العقاد الدينى "

تحت الطبع

1- "آلام الأنبياء"

2- السمات النفسية والاجتماعية للأنبياء فى ضوء التحليل النفسى

3- أوراق " شمس بدران "

4- لندن عاصمة الضباب والموت الغامض

الفهــرس

* * *